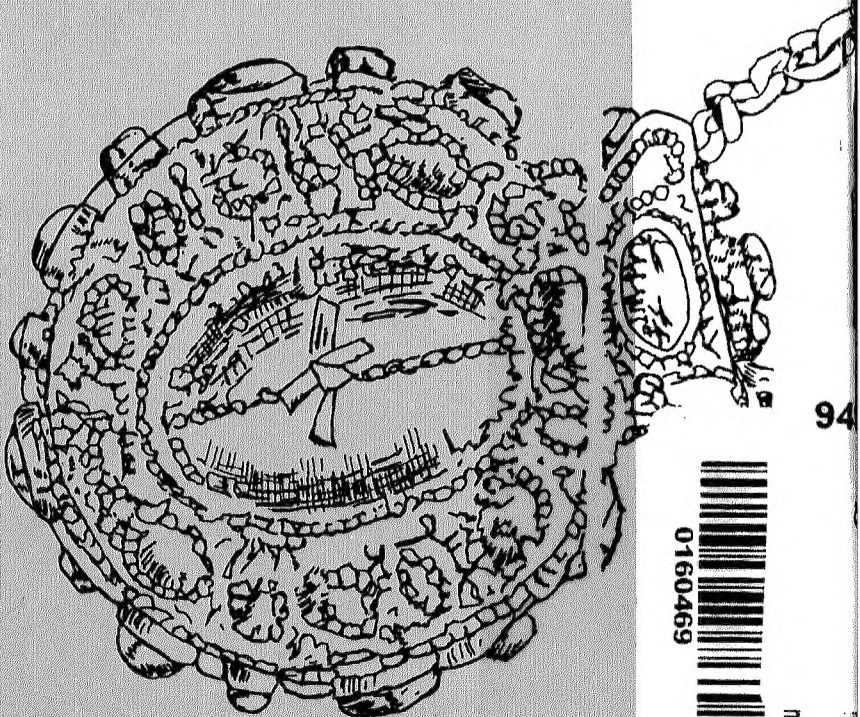


د. وسام عبد العزيز

البوسنة . الصرب . كرواتيا

قراءة في التاريخ الباكر



94



0160469

ndrina

The first part of the paper discusses the
 importance of the study of the
 history of the United States.
 It is a study of the past which
 helps us to understand the present
 and to prepare for the future.
 The second part of the paper
 discusses the importance of the
 study of the history of the world.
 It is a study of the past which
 helps us to understand the present
 and to prepare for the future.
 The third part of the paper
 discusses the importance of the
 study of the history of the United States.
 It is a study of the past which
 helps us to understand the present
 and to prepare for the future.

The first part of the paper discusses the
 importance of the study of the
 history of the United States.

It is a study of the past which
 helps us to understand the present
 and to prepare for the future.

The second part of the paper
 discusses the importance of the
 study of the history of the world.
 It is a study of the past which
 helps us to understand the present
 and to prepare for the future.

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية

رقم التصنيف: ٩٥٩ ٤٥١

رقم التسجيل: ١٦٤٤

دراسات عين - ٣

البوسنة - الصرب - كرواتيا

قراءة في الأصول التاريخية

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

مكتبة الإسكندرية Alexandria

دكتور وسام عبد العزيز فرج

أستاذ ورئيس قسم التاريخ

كلية الآداب/ جامعة المنصورة

الطبعة الأولى

١٩٩٤



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

17349



الناشر :

عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

٦ شارع يوسف فهمي - اسبائس - الهرم - تليفون: ٢٨٣٢٥٢٩

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

تصميم الغلاف : أيمن ملال

مقدمة

تمثل شبه جزيرة البلقان خصوصية فى تنوع التركيبة العرقية لعناصر سكانها وتباين العقائد والمذاهب الدينية لشعوبها وتعارض انتماءات وتطلعات مجتمعاتها بل وتتناقض مصالح طوائف الدولة الواحدة بشكل مثير ساهم فى إثارة قضية الهوية وفى نمو الاتجاهات الانفصالية فضلاً عن تشابك وتعقد علاقات دولها بالدول المجاورة والقوى السياسية الأخرى .

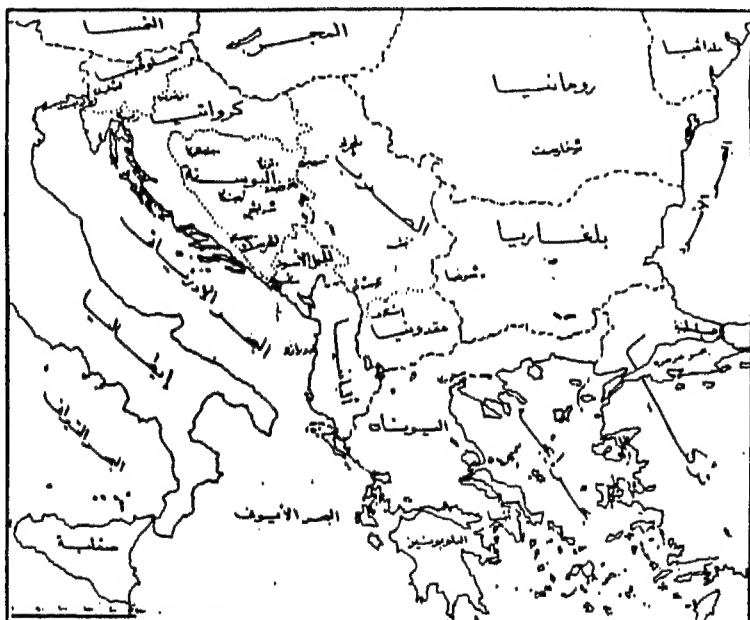
هذه الظاهرة جعلت رجال السياسة فى العصر الحديث يستخدمون مصطلح " البلقنة " للدلالة على الاتجاهات الانفصالية والتوجهات التقسيمية فى أية أزمة اقليمية يتعقد التعامل الدولى إزاءها كما تعقد دائماً بالنسبة لمشكلات البلقان .

وإذا كان رصد هذه الظاهرة البلقانية جذب انتباه الكثير من الباحثين فإن مهمة المؤرخ يجب أن تتجاوز الرصد والوصف إلى محاولة التفسير . وسنحاول فى هذه الدراسة تفسير الظاهرة البلقانية فى شمال غرب شبه الجزيرة وبالتحديد فيما كان يعرف بدولة السلاف الجنوبيين أو يوجسلافيا .

إن محاولة تفسير هذه الظاهرة تستدعى الإلمام بموقع شبه جزيرة البلقان وطبيعتها الجغرافية بصفة عامة والأقاليم الشمالية بصفة خاصة ، فالجغرافيا ، بخصائص الموقع والتضاريس والمناخ ، هى المسرح الذى حدد الموارد الاقتصادية وشكل اتجاه الأحداث وأبرز الظاهرة . كما يتطلب التفسير التعرف على العناصر العرقية للسكان وهويتهم وثقافتهم . وأخيراً

لا بد من قراءة فى تاريخ المنطقة فى العصور الوسطى على أساس أن تلك
العصور شهدت ظهور دول مثل بلغاريا - كرواتيا - البوسنة - الصرب
وغيرها

دكتور وسام عبد العزيز فرج
الاسكندرية يناير ١٩٩٤م



شكل رقم (١) الكيانات السياسية في شبه جزيرة البلقان

1. The first part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

2. The second part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

3. The third part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

4. The fourth part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

5. The fifth part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

6. The sixth part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

7. The seventh part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

8. The eighth part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

9. The ninth part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

10. The tenth part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

11. The eleventh part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

12. The twelfth part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

13. The thirteenth part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

14. The fourteenth part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

15. The fifteenth part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

16. The sixteenth part of the document is a list of the names of the persons who were absent from the meeting.

17. The seventeenth part of the document is a list of the names of the persons who were present at the meeting.

(١)

" البيئة الجغرافية "



1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13



14

15

16

17

18

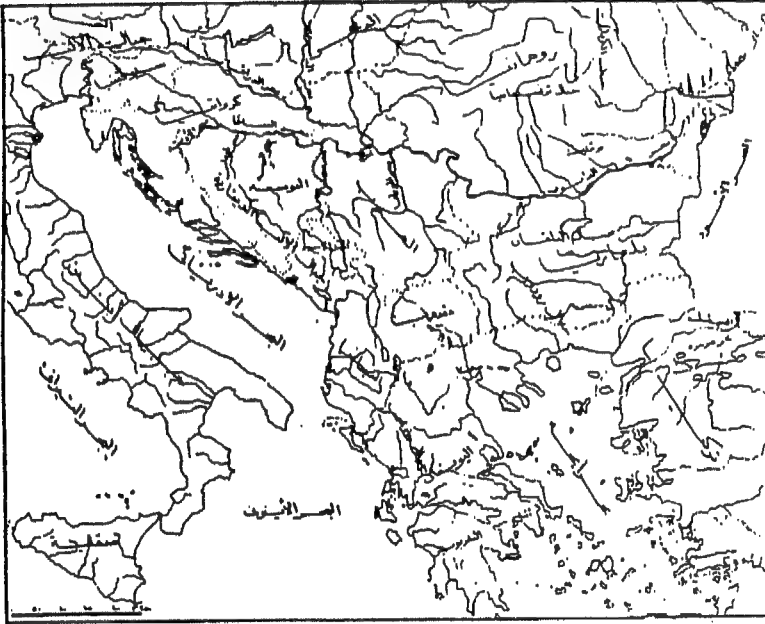
19

20

البيئة الجغرافية

تقع شبه جزيرة البلقان فى الطرف الجنوبى الشرقى لأوربا ، ويحدها من الشمال نهر الدانوب ومن الشرق البحر الأسود والمضايق والبحر الإيجى ومن الجنوب البحر المتوسط ومن البحر الأدرياتي والبحر الأيونى . وهى بهذا الموقع عند التقاء أوربا وآسيا كانت معبراً بين الشرق والغرب ومدخلاً طبيعياً للقارة الأوروبية من جهة الشرق . فعبر البلقان عرفت العقائد الدينية والهرطقات والحضارة طريقها إلى وسط أوربا . وعلى أرضها تجاور المجتمع اليونانى والمجتمع الرومانى فى إطار الكيان السياسى الواحد للإمبراطورية الرومانية القديمة . وعندما انقسمت تلك الإمبراطورية فى العصر الرومانى الأخير إلى قسمين شرقى وغربى كان خط التقسيم الرأسى يعبر أقاليم البلقان فى شطرها الغربى . ومنذ أواخر القرن الحادى عشر عبرت الجيوش الصليبية أقاليم البلقان فى طريقها إلى الشرق الأدنى الإسلامى بزعم تحرير الأراضى المقدسة . وهكذا فرضت طبيعة الموقع على شبه جزيرة البلقان أن تتلقى التأثيرات الحضارية من الشرق والغرب على حد سواء .

ويغلب على تضاريس البلقان المرتفعات ذات الارتفاع المتوسط (الذى لا يبلغ ٣٠٠٠ متر) التى تكون حوالى ٣/٢ من مساحته الكلية . وتعتبر المرتفعات الغربية أكثر السلاسل الجبلية طولاً إذ تمتد مسافة ١٥٠٠ كم من الشمال الغربى فى اتجاه الجنوب الشرقى وتضم سلاسل جبال الألب الدينارية Dinaric Alps التى تعبر سلوفانيا - كرواتيا - الصرب - الجبل



شكل رقم (٢) الخريطة الطبيعية لشبه جزيرة البلقان

الأسود ومقدونيا ، ثم سلسلة جبال بندوس Pindus التى تعبر ألبانيا إلى اليونان . أما النطاق الثانى من المرتفعات فهو جبال البلقان التى تقع شمال شرق شبه الجزيرة وهى امتداد لمرتفعات الكاربات Carpath عبر نهر الدانوب وتأخذ شكل القوس يمتد من الغرب إلى الشرق . أما النطاق الثالث من المرتفعات فهو جبال ريدوب Rhodope التى تمتد فى هيئة قوس أصغر جنوب جبال البلقان . ولقد ترتب على امتداد المرتفعات الغربية من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى وجود عدد قليل من الأنهار فى القسم الشمالى من شبه الجزيرة التى تجرى غرباً لتصب فى البحر الأدرياتي ، فالأنهار فى شمال البلقان تجرى إما تجاه الشرق أو الشمال الشرقى أو تجرى مباشرة تجاه الشمال لتصب فى نهر الدانوب مثل أنهار درافا Drava - سافا Sava - البوسنة Bosna - درينا Drina - مورافا Morava - إسكور Iskur . ورغم أن هذه هى القاعدة الغالبة فإن هناك عدداً قليلاً من الأنهار الصغيرة التى يجرى بعضها ليصب فى البحر الأدرياتي والبحر الأيونى ، ومع أن تلك الأنهار الصغيرة تكون ودياناً منحجرة ، فإنها لا تبلغ فى الحجم أو الامتداد تلك التى تكونها الأنهار التى تصب فى نهر الدانوب^(١) .

ولما كان نظام المرتفعات يحتل تلك النسبة الكبيرة من مساحة شبه جزيرة البلقان فإن السهول المرتفعة أو المنخفضة على حد السواء كانت محدودة الحجم . وربما كان السهل الوحيد الذى يمتد لمسافة كبيرة هو سهل الدانوب الذى تقطعه سلسلة جبال البلقان وتقسمة إلى قسمين الأول ويقع فى

الغرب بين مجرى نهر الدانوب ومجرى رافده الرئيسى نهر السافا ، أى أن القسم الأكبر منه يقع شمال دولة الصرب الحالية وشمال شرق كرواتيا ، أما القسم الثانى من سهل الدانوب فيقع فى تلك المنطقة الهضبية الواقعة بين نهر الدانوب قرب مصبه فى البحر الأسود وجبال البلقان فى طرفها الغربى ، ويشتمل هذا القسم على منطقة دوبرجيا Dobroja التى تدخل اليوم فى نطاق دولة رومانيا . وبناء على ذلك يمكن القول أن المرتفعات تسود كل أقاليم سلوفينيا - البوسنة - الجبل الأسود ومقدونيا ، وبما تغطى تلك المرتفعات معظم لواتى الصرب وكرواتيا باستثناء السهل الدانوبى شمال الصرب وشمال شرقى كرواتيا فضلا عن السهل الساحلى الضيق المطل على البحر الأدرياتي غرب كرواتيا .

ويتباين مناخ شبه جزيرة البلقان بشكل كبير من مناخ البحر المتوسط المعروف إلى المناخ القارى وغالباً فى إطار مسافات غير متباعدة . وبالنسبة لشمال غرب البلقان يمكن القول بصفة عامة أن وجود المرتفعات الغربية - المعروفة بسلسلة جبال الألب الدينارية وامتدادها من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى قد أدى إلى قصر مناخ البحر المتوسط على طول سواحل دولة كرواتيا أما المناخ القارى فهو الغالب على المناطق فى كرواتيا والجبل الأسود فضلاً عن أقاليم البوسنة ومقدونيا والصرب .

وفى إطار هذه الصورة للتضاريس والمناخ يمكن أن ننظر إلى أنماط الحياة النباتية وما تنتجه الأرض فى شمال غرب البلقان . بالنسبة للمناطق

الضخم من المرتفعات الممتدة من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى فيمثلها قطاعات كبيرة من الغابات التى تتخللها المروج وأراضى الأعشاب الدائمة فضلا عن الأراضى الصخرية التى لا تصلح للزراعة . وتتكون أراضى الغابات من أشجار البلوط أما الأراضى الصالحة للزراعة فهى نادرة بأى مساحة جنوب نهر السافا ، أما الأراضى الصالحة لزراعة الفواكه والعنب والزيتون فإنها تتركز بشكل كبير فى وادى الدانوب ، ورغم انتشار الغابات فى معظم هذا النطاق الضخم من المرتفعات فإن نسبة كبيرة من أخشابها ذات جودة محدودة للاستغلال فى صناعة السفن على نطاق كبير . أما المراعى فإنها قابلة لاستغلال واسع كمراعى لقطعان الأغنام والماعز وحتى ذلك النشاط كان قاصراً على أشهر الصيف فقط . وعلى هذا فإن الأرض الصالحة للزراعة قليلة والأرض الزراعية الخصبة شديدة الندرة^(٣) وينطبق هذا على أقاليم البوسنة والجبل الأسود ومقنونيا ومعظم أقاليم دولتى كرواتيا والصرب . وهنا يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن المنطقة الشمالية من دولة الصرب الواقعة بين نهري السافا والدانوب الى الشمال من بلغراد كانت خارج حدود دولة الصرب فى العصور الوسطى ، ولم تُصَفَ اليها بشكل نهائى إلا بعد الحرب العالمية الثانية .

وجدير بالذكر أن خصائص الطبيعة الجغرافية لشمال البلقان كما قدمنا لم تختلف كثيراً فى العصور الوسطى . فالعناصر الأساسية مثل خصائص الطبوغرافيا والمناخ والعلاقة بينهما ليست عرضة للتغيرات الجوهرية فى فترة

زمنية محدودة أما الحياة النباتية واستغلال الأرض ، فمن المسلم به أنها أكثر
عرضة للتغير بقدر التقدم الذي تحققه الحضارة .

(٢)

"العناصر السكانية"

1

2

3

4

5

العناصر السكانية

كانت العناصر العرقية الرئيسية المستقرة فى شمال البلقان فى العصر الرومانى عبارة عن عنصرين : الإليريون Illyrians فى الغرب والتراقيون Thracians فى الشرق ^(٣) والمعروف أن الرومان شيّدوا منذ فتحهم لإقليم الليريا وساحل دالماشيا عدداً من المستعمرات الرومانية وسط تجمعات الاليريين والدالماشيين ، وهكذا نمت المدن على ساحل البحر الإديراتى أحياناً فى مواضع مراكز الليرية قبلية أو مستعمرات يونانية مثل سالونا Salona سبالاتو Spalato وراجوسا Ragusa دبروفنيك Dubrovnik وديراخيوم Dyrrachium بورازو Durazzo كما نمت المدن أيضاً فى الداخل مع امتداد وديان الأنهار مثل سيرميوم Sirmium سنجيدونوم Singidunum بلغراد Belgrade نايسوس Naissus نيش Nisch سارديكا Sardica صوفيا Sophia ، وفى القرن الرابع الميلادى كان معظم سكان شمال غرب البلقان قد اكتسبوا عناصر الحضارة الرومانية بمعنى أن اللغة اللاتينية أصبحت لغتهم العامة ، وهكذا إذا كانت اللغة اليونانية قد استمرت فى العصر الرومانى لغة سكان جنوب البلقان ، فإن شمال البلقان والأقاليم الواقعة فى الشمال الغربى تحديداً كانت تتكلم اللاتينية ولكن اللغة الاليرية استمرت أيضاً فى بعض المناطق الجبلية من شمال البانيا Albania وإقليم كوسوفو Kosovo المتاخم (الذى يتمتع بالحكم الذاتى فيما تبقى من دول يوغسلافيا)، ويتأكد ذلك من حقيقة استمرار اللغة الألبانية الى يومنا هذا ، فاللغة الألبانية ترجع أصولها إلى اللغة الاليرية ^(٤) .

ومنذ العصر الروماني الأخير كانت أقاليم شمال البلقان بصفة عامة تشهد بالفعل تنوعاً عرقياً كبيراً فقد وجدت جيوب عرقية من القوط Goths الباستارناى Bastarnae (وهى عناصر تتكلم الكلتية) السرامطة Sarmatians ، والسكيثيون Scythians ، والآلان Alans (وربما كانوا جميعاً من أصول إيرانية) وغيرها وسط التراقين والاليريين^(٥) . وكانت هذه الأوضاع نتيجة طبيعية لسياسة الحكومة الرومانية الخاصة بتوطين الجماعات المتبريرة المهزومة أو اللاجئة فى تلك الإقاليم فضلاً عن السماح لجماعات من المحاربين والمدنيين الرومان بالاستقرار فيها . ومن الصعب أن نقرر الى أى مدى حافظت هذه الجيوب العرقية على لغاتها وعاداتها . ومع أن عدداً غير قليل من العناصر المستقرة فيها قد اندمج وذاب وسط الاليريين والتراقين فى شمال البلقان عبر القرون ، فإن هذه الجيوب العرقية ساهمت فى تكوين الثقافة المشتركة للمنطقة ، كما كان لها أثر كبير فى إضعاف التقاليد القبلية القديمة .

وجدير بالذكر أن الرومان شيبوا عدداً من الطرق الهامة الهامة عبر أقاليم البلقان ، كانت بصفة عامة تتبع خطوط طرق قديمة . وكان أهمها ذلك الطريق الذى يبدأ من جنوب شرق مدينة أكويليا Aquileia ويمر عبر إيمونا Emona (ليوبليانا Ljubljana) سيسكيا Siscia (سيزاك Sisak) سينجدونوم Singidunum (بلغراد Belgrade) ، نايسوس Naissus (نيشر Nich) رمسيانا Remesiana (بلالانكا Bela Palanka) ، سريديك

Serdica (صوفيا Sofia) فيليبوبولس Philippopolis (بلوفرديف Plovdiv) وهادريا نوبولس Hadrianopolis (أدرنه Adrianople) الى القسطنطينية Constantinople . وكان هذا الطريق يعرف بطريق بلغراد - القسطنطينية^(٦) .

أما الطريق الثانى فهو الطريق العسكرى الذى يقطع شبه جزيرة البلقان من الغرب إلى الشرق ، وكان يعرف بطريق إجناتيا Via Egnatia وكان هذا الطريق يبدأ من ميناء ديراخيوم Dyrrachium (دروازو Durazzo) على البحر الادرياتي فى الغرب ثم يتجه شرقا عبر وسط ألبانيا Albania ويدير حول بحيرة أوخريد Ochrid من طرفها الشمالى ويمر عبر مدن ليخنس (Lychnis) (أوخريد) ، إدسا Edessa إلى سالونيك Thessalonika ، ثم يتجه عبر الأرض المنخفضة بين الجبال والبحر يبدأ من نايسوس Naissus (نيش) ويتجه جنوباً بحذاء وادى الموراغا Morava ثم يعبر معراً جبلياً كى يصل إلى واد فاردار Vardar عند مدينة سكوبي Scupi (Skogje) ويمضى الطريق محاذياً للنهر عبر مدينة ستوبى Stobe حتى يصل إلى سالونيك .

وبالإضافة إلى هذين الطريقين الرئيسيين : طريق بلغراد - القسطنطينية وطريق إجناتيا ، شيد الرومان عدة طرق أخرى أقل أهمية نذكر منها طريقين : الأول ويتجه من الغرب إلى الشرق موازياً الضفة الجنوبية لنهر الدانوب ويبدأ من سينجيدونوم Singidunum (بلغراد) متجهاً إلى

ديروستوروم Durostorum ثم يعضى متجهاً إلى مدينة توميس Tomis على البحر الأسود . ولقد ربطت عدة طرق فرعية بين هذا الطريق والطريق الاستراتيجى الأول : طريق بلغراد - القسطنطينية . أما الطريق الآخر فهو طريق ساحلى على امتداد ساحل البحر الأسود . ويبدأ من مصب نهر الدانوب ثم يتجه جنوباً عبر مدن أوديسوس Odessus (فارنا Varna) ، مزمبريا Mesembria (نيسبور Nesebur) دفلتوس Develtos (بالقرب من بورجاس Burgaz) سالميديسوس Salmydessus (كيكوى Kiyikoy) حتى يصل إلى القسطنطينية ^(٨) وحرص الرومان على تأمين هذه الطرق بإنشاء شبكة من التحصينات والقلاع على امتدادها خاصة عندما تعبر تلك الطرق المضائق الجبلية . هذا ، وقد اجتذبت بعض تلك القلاع جماعات من المحاربين القدماء والتجار وسرعان ما نمت وتحوت إلى مدن حقيقية . وبعد رحيل الجند الرومان من مناطق عديدة فى البلقان ، استمرت الطرق الرومانية تؤدى دورها كوسيلة وصل بين أطراف شبه الجزيرة ، وعندما تعرضت البلقان لغزوات وهجرات أقوام متباينة فى العصور الوسطى كانت تلك الطرق هى التى حددت اتجاه حركة الغزاة ومناطق استقرارهم . ويمكن القول أن الأقوام التى سيطرت على الطرق كان فى مقدورها التقدم عليها بحرية دون أن يكون لها غالباً أية سيطرة على المناطق الداخلية .

كان مجرى نهر الدانوب يمثل فى القرن الرابع الميلادى الحدود الشمالية للإمبراطورية الرومانية . وكانت الولايات الرومانية التى تدفع الضرائب للحكومة وتخضع للقانون تقع جنوب النهر ، أما الضفة الشمالية

النهر فكانت تطل على عالم آخر لم تتحدد له ملامح ولا هوية ، بحر متلاطم من الدويلات التابعة والقبائل المتبربرة والتجمعات السياسية المؤقتة . لقد عاشت قبائل متباينة على امتداد السهول الاستبسيتية الشاسعة لأوراسيا منذ الألف الثانى قبل الميلاد وحتى القرن الرابع عشر الميلادى . وإذا كان بعضها قد تطور وتحول إلى الاقتصاد الزراعى قرب الوديان النهرية فى أطراف نطاق الاستبس ، فإن أغلبها كان على بداوته فى مطلع العصور الوسطى . ولما كان الاقتصاد الرعوى لا يفى بحاجات تلك الأقوام الرعوية ، فإن تبادل المنتجات مع جيرانهم فى المجتمعات المستقرة المجاورة أصبح أمراً لازماً . وفى إطار هذه الأحوال العادية قامت العلاقات السلمية والصلات الحضارية بين الأقوام الرعوية شمال الدانوب والإمبراطورية الرومانية . وبسبب طبيعة الحياة الرعوية كان أى اضطراب يصيب الإيقاع التقليدى لحياة الأقوام الرعوية فى أى مكان على امتداد السهول الاستبسيتية ، يؤثر بالتالى على مناطق أخرى بعيدة تتجاوز النطاق الرعوى . فإذا تحركت قبيلة رعوية لأى سبب من الأسباب وتجاوزت المدار السنوى المنتظم لحركتها فإنها تشيع الاضطراب على نطاق واسع وتضغط على أقوام رعوية مجاورة وتدفعها بالتالى للضغط على جيرانها . وهكذا تضطر أقوام بعيدة عن مصدر الاضطراب الأول إلى الهجرة بحثاً عن أرض أخرى ومدار جديد أو تتطلع إلى موطن أمن وطعام وفير داخل المجتمعات الزراعية المستقرة . وهكذا تتعرض الأقوام القاطنة شمال نهر الدانوب للضغط وتضطر إلى عبور النهر بإذن الإدارة الإمبراطورية أو رغماً عنها .

وإذا
فى مد سب
ولاية داش
٢٧٤م فى
المتبربرة ش
فى أحسر
والهدايا
لزعامات
وتداعياتها
متناسكة
وكانت قاد
عبر الدانو
الأخير للقر
على الجيد
(Valens)
على الفيا
الإمبراطور
من شمال
ومنذ
تدفقت عبر

وإذا كانت الحكومة الرومانية قد نجحت فى بداية القرن الثانى الميلادى فى مد سيطرتها المباشرة على مناطق تقع شمال الدانوب الأوسط وأسست ولاية داشيا Dacia . فإنها اضطرت إلى إخلاء تلك الولاية الجديدة سنة ٢٧٤م فى عهد الامبراطور أوراليان Aurelian بسبب الضغط المتزايد للقبائل المتبريرة شمال النهر^(٩) . ويمكن القول أن النفوذ الرومانى شمال النهر كان فى أحسن الأحوال غير مباشر عن طريق الاتفاقيات والمعونات المالية والهدايا التى اعتادت الإدارة الإمبراطورية فى بعض الأحيان تقديمها لزعامات تلك القبائل . ورغم أزمة القرن الثالث فى العالم الرومانى وتداعياتها، فإن خطوط الدفاع الرومانية على امتداد الجبهة الدانوبية ظلت متماسكة بتحسيناتها الحدودية وبالفياق الرومانية المراقبة فى ولايات البلقان وكانت قادرة على التصدى للإغارات المحدودة التى قامت بها القبائل المتبريرة عبر الدانوب حتى منتصف القرن الرابع الميلادى . ولكن ابتداء من الربع الأخير للقرن الرابع الميلادى تتغير الصورة . ويحدد انتصار القوط الغربيين على الجيش الرومانى فى معركة أدرنة ٣٧٨م وسقوط الإمبراطور فالنز Valens (٣٦٤ - ٣٧٨م) قتيلاً بداية هذا التغير ، فقد قضى القوط الغربيون على الفياق الرومانية المراقبة فى البلقان وانهارت بالتالى خطوط الدفاع الإمبراطورية على جبهة الدانوب وأصبح الطريق مفتوحاً أمام الوافدين الجدد من شمال النهر^(١٠) .

ومنذ أواخر القرن الرابع الميلادى وحتى أواخر العصور الوسطى تنفقت عبر نهر الدانوب أقوام جرمانية وسلافية وتركية على اختلاف أسماء

قبائلها. جاء بعضها عابراً يبحث عن الطعام ، وجاء البعض الآخر لاجئاً يبحث عن الاستقرار. فالأقوام التي ظلت على اقتصادها الرعوى عبرت إلى البلقان بحثاً عن الطعام ومارست السلب والنهب والتدمير مثل الهون والافار والبشناق والكومان والغز ... الخ . أما تلك الأقوام التي كانت في مرحلة التحول أو تلك التي كانت قد تحولت بالفعل إلى الاقتصاد الزراعى فقد عبرت نهر الدانوب تبحث عن الأرض لإنتاج الطعام والاستقرار مثل العناصر السلافية .

والمعروف أن القبائل السلافية كانت تقطن مساحة كبيرة من السهل الأوروبى الشرقى الواقع شمال جبال الكاربات Carpath . ولقد أدى ظهور الهون فى أواخر القرن الرابع الميلادى إلى خضوع القبائل السلافية لهم ، وعندما اضطلحت دولتهم فى منتصف القرن الخامس الميلادى سعت الأقوام الجرمانية والقبائل السلافية للتخلص من سيطرة الهون بالهجرة . فبدأت هجرات على نطاق واسع للسلاف تجاه الغرب والجنوب والشرق لينتشر السلاف على مساحة كبيرة من شرق أوروبا تمتد من نهر الإلب Elbe غرباً إلى نهر الدنيبر Dnieper شرقاً ، ومن بحر البلطيق شمالاً إلى نهر الدانوب جنوباً . ولم يعرف السلاف فى فترة هجرتهم هذه أى تنظيم سياسى سوى تنظيم القبيلة ، ولكن صلاحيات زعيم القبيلة كانت محددة وليست مطلقة ، كما كانت الفروق الاجتماعية بين أبناء القبيلة قليلة ، ولم يتميز السلاف فى هجرتهم بالسرعة لأنهم كانوا يتحركون على الأقدام أو يبحرون فى الأنهار

بقوارب صغيرة أجالوا صناعتها . وكان جنودهم يحملون الدروع ويتسلحون بالرماح أو الأقواس والسهام . وتجنب السلاف فى قتال الأعداء السهول المكشوفة التى تضطربهم إلى خوض معارك ميدانية ، وكانوا يفضلون القتال فى المناطق الهضبية حتى يكون فى مقدورهم إعداء الكائن والانتقضاى على العدو . وطوال مرحلة الهجرة ظلت القبائل السلافية على الوثنية (١١) .

على أية حال مع نهاية القرن الخامس الميلادى وصلت مجموعة من القبائل السلافية التى اتجهت جنوباً إلى نهر الدانوب وانتشرت على طول الضفة الشمالية لمجرى النهر ، وبدأت المصادر البيزنطية تشير لهم باسم Sklavenoi . وكان يقصد بذلك السلاف الجنوبيين أى الذين اتجهوا جنوباً شطر الدانوب . وجرىً على عادة تجنيد عناصر من الأقوام الأجنبية المجاورة فى الجيش الإمبراطورى ، قامت الإدارة البيزنطية بتشكيل وحدات عسكرية من هذه العناصر السلافية المعاهدة فى جيوشها . وتشير المصادر إلى مشاركة هذه العناصر السلافية المعاهدة فى حروب الإمبراطورية جستينيان الأولى (٥٢٧ - ٥٦٥ م) سواء فى إيطاليا أو على الجبهة الفارسية (١٢) .

وعن هذا الطريق بدأ اتصال السلاف الأول والمباشر بحضارة الإمبراطورية البيزنطية وبدأ تعرفهم على طبوغرافية الأقاليم الواقعة جنوب نهر الدانوب .

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

(٣)

" العلاقات مع الدولة البيزنطية "

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100
101
102
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
151
152
153
154
155
156
157
158
159
160
161
162
163
164
165
166
167
168
169
170
171
172
173
174
175
176
177
178
179
180
181
182
183
184
185
186
187
188
189
190
191
192
193
194
195
196
197
198
199
200
201
202
203
204
205
206
207
208
209
210
211
212
213
214
215
216
217
218
219
220
221
222
223
224
225
226
227
228
229
230
231
232
233
234
235
236
237
238
239
240
241
242
243
244
245
246
247
248
249
250
251
252
253
254
255
256
257
258
259
260
261
262
263
264
265
266
267
268
269
270
271
272
273
274
275
276
277
278
279
280
281
282
283
284
285
286
287
288
289
290
291
292
293
294
295
296
297
298
299
300
301
302
303
304
305
306
307
308
309
310
311
312
313
314
315
316
317
318
319
320
321
322
323
324
325
326
327
328
329
330
331
332
333
334
335
336
337
338
339
340
341
342
343
344
345
346
347
348
349
350
351
352
353
354
355
356
357
358
359
360
361
362
363
364
365
366
367
368
369
370
371
372
373
374
375
376
377
378
379
380
381
382
383
384
385
386
387
388
389
390
391
392
393
394
395
396
397
398
399
400
401
402
403
404
405
406
407
408
409
410
411
412
413
414
415
416
417
418
419
420
421
422
423
424
425
426
427
428
429
430
431
432
433
434
435
436
437
438
439
440
441
442
443
444
445
446
447
448
449
450
451
452
453
454
455
456
457
458
459
460
461
462
463
464
465
466
467
468
469
470
471
472
473
474
475
476
477
478
479
480
481
482
483
484
485
486
487
488
489
490
491
492
493
494
495
496
497
498
499
500
501
502
503
504
505
506
507
508
509
510
511
512
513
514
515
516
517
518
519
520
521
522
523
524
525
526
527
528
529
530
531
532
533
534
535
536
537
538
539
540
541
542
543
544
545
546
547
548
549
550
551
552
553
554
555
556
557
558
559
560
561
562
563
564
565
566
567
568
569
570
571
572
573
574
575
576
577
578
579
580
581
582
583
584
585
586
587
588
589
590
591
592
593
594
595
596
597
598
599
600
601
602
603
604
605
606
607
608
609
610
611
612
613
614
615
616
617
618
619
620
621
622
623
624
625
626
627
628
629
630
631
632
633
634
635
636
637
638
639
640
641
642
643
644
645
646
647
648
649
650
651
652
653
654
655
656
657
658
659
660
661
662
663
664
665
666
667
668
669
670
671
672
673
674
675
676
677
678
679
680
681
682
683
684
685
686
687
688
689
690
691
692
693
694
695
696
697
698
699
700
701
702
703
704
705
706
707
708
709
710
711
712
713
714
715
716
717
718
719
720
721
722
723
724
725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740
741
742
743
744
745
746
747
748
749
750
751
752
753
754
755
756
757
758
759
760
761
762
763
764
765
766
767
768
769
770
771
772
773
774
775
776
777
778
779
780
781
782
783
784
785
786
787
788
789
790
791
792
793
794
795
796
797
798
799
800
801
802
803
804
805
806
807
808
809
810
811
812
813
814
815
816
817
818
819
820
821
822
823
824
825
826
827
828
829
830
831
832
833
834
835
836
837
838
839
840
841
842
843
844
845
846
847
848
849
850
851
852
853
854
855
856
857
858
859
860
861
862
863
864
865
866
867
868
869
870
871
872
873
874
875
876
877
878
879
880
881
882
883
884
885
886
887
888
889
890
891
892
893
894
895
896
897
898
899
900
901
902
903
904
905
906
907
908
909
910
911
912
913
914
915
916
917
918
919
920
921
922
923
924
925
926
927
928
929
930
931
932
933
934
935
936
937
938
939
940
941
942
943
944
945
946
947
948
949
950
951
952
953
954
955
956
957
958
959
960
961
962
963
964
965
966
967
968
969
970
971
972
973
974
975
976
977
978
979
980
981
982
983
984
985
986
987
988
989
990
991
992
993
994
995
996
997
998
999
1000
1001
1002
1003
1004
1005
1006
1007
1008
1009
1010
1011
1012
1013
1014
1015
1016
1017
1018
1019
1020
1021
1022
1023
1024
1025
1026
1027
1028
1029
1030
1031
1032
1033
1034
1035
1036
1037
1038
1039
1040
1041
1042
1043
1044
1045
1046
1047
1048
1049
1050
1051
1052
1053
1054
1055
1056
1057
1058
1059
1060
1061
1062
1063
1064
1065
1066
1067
1068
1069
1070
1071
1072
1073
1074
1075
1076
1077
1078
1079
1080
1081
1082
1083
1084
1085
1086
1087
1088
1089
1090
1091
1092
1093
1094
1095
1096
1097
1098
1099
1100
1101
1102
1103
1104
1105
1106
1107
1108
1109
1110
1111
1112
1113
1114
1115
1116
1117
1118
1119
1120
1121
1122
1123
1124
1125
1126
1127
1128
1129
1130
1131
1132
1133
1134
1135
1136
1137
1138
1139
1140
1141
1142
1143
1144
1145
1146
1147
1148
1149
1150
1151
1152
1153
1154
1155
1156
1157
1158
1159
1160
1161
1162
1163
1164
1165
1166
1167
1168
1169
1170
1171
1172
1173
1174
1175
1176
1177
1178
1179
1180
1181
1182
1183
1184

العلاقات مع الدولة البيزنطية

وتجدر الإشارة إلى أن الامبراطورية البيزنطية إذا كانت قد استطاعت في القرن الخامس الميلادي بعد جهد كبير التخلص من مخاطر الجرمان وإعادة بناء خطوط دفاعها على جبهة الدانوب في تراقيا والليريا ، فإن نجاحها في هذا الاتجاه كان قصير العمر . فحروب جستنيان الأول لاسترداد الأقاليم الغربية في القرن السادس الميلادي جعلته يهمل الجبهة الدانوبية . وكثيراً ما كان الإمبراطور يسحب جنوداً من الفرق العسكرية المرابطة هناك ليعزز وضع قواته التي تقاتل في إيطاليا (١٣) .

ومنذ حوالي منتصف القرن السادس بدأ الاضطراب يسود الأقوام السلافية القاطنة شمال الدانوب بسبب تقدم الأتار Avars من آسيا الوسطى في اتجاه الغرب هرباً من ضغط قبائل تركية أخرى أشد منهم قوة وأكثر منهم عدداً . والأتار شعب آسيوي رعوي ينتمي إلى جموع الترك ، تقدم بسرعة واكتسح أمامه كل الأقوام الرعوية حتى وصل إلى شمال البحر الأسود ليتقدم في اتجاه الغرب ويسيطر على الأقاليم الواقعة شمال مجرى نهر الدانوب حتى جبال الألب بما في ذلك إقليم بانونيا Pannonia (١٤) .

بدأ السلاف في عهد الإمبراطور جستنيان الأول يقومون بإغارات دورية عبر نهر الدانوب داخل أقاليم البلقان . ولو أن الأمر اقتصر على امكانيات السلاف فقط فربما تمكنت الإدارة الإمبراطورية من التعامل معهم ، إذ كانت غالبية العناصر السلافية تميل إلى الاستقرار وفلاحة الأرض ولم

يكن لديها مطامع سياسية محددة ، ولكن هذا لم يحدث بسبب وصول الآفار ، فقد قدم الآفار لمجموعة الأقاليم السلافية ما كانت تفتقر إليه من قيادة وروح عدائية هجومية .

حاولت الإدارة البيزنطية في عهد جستنيان احتواء خطر الآفار بمنحهم امتيازات المعاهدين حلفاء الإمبراطورية . وهكذا قام الآفار كحلفاء للإمبراطور بالتصدي للأقوام المتبربرة القاطنة شمال مجرى الدانوب سواء كانت من بقايا الجرمان أو كانت من الأقاليم السلافية . بالنسبة للجماعات الجرمانية نجح الآفار في القضاء على الجبيد Gepids وأجبروا اللومباردين على إخلاء بانونيا Pannonia والهجرة إلى شمال إيطاليا^(١٥) . كما تمكن الآفار من إخضاع مجموعة القبائل السلافية الجنوبية والغربية فضلاً عن إخضاع بعض القبائل التركية الأخرى مثل البلغار .

وعندما طالب الآفار والأقاليم السلافية الخاضعة لهم بحق الاستقرار في الأقاليم البيزنطية الواقعة جنوب الدانوب مقابل الخدمات التي قدموها للإمبراطورية ، فإن الإدارة الإمبراطورية في عهد الإمبراطور جستنيان الأول تجاهلت دائماً هذا المطلب . ولكن ابتداء من الربع الأخير من القرن السادس الميلادي بدأ الآفار والسلاف في عبور النهر في وقت انشغلت فيه الجيوش البيزنطية بقتال الفرس على الجبهة الشرقية . ورغم أن الآفار تولوا قيادة وتوجيه الإغارات إلى أقاليم البلقان ، فإن السلاف شكلوا غالبية العناصر التي أغارت على ولايات الليريا وتراقيا وتلك التي توغلت جنوباً إلى أقاليم اليونان^(١٦) .

وتبدو العلاقة بين الآفار والسلاف فى هذه المرحلة معقدة بعض الشيء فالمصادر تشير فى مواضع إلى إغارات قام بها الآفار ، كما تشير فى مواضع أخرى إلى إغارات للسلاف ، أو إغارات مشتركة للآفار والسلاف . والحقيقة أن التسلسل التاريخى لتلك الإغارات وظروف قيام المستوطنات السلافية فى البلقان لا تزال رغم كل ما كتب عن هذا الموضوع مسألة تشير الحيرة . ويرجع ذلك إلى قلة ما ورد فى المصادر التاريخية ، واضطراب عرض الأحداث وخاصة فى تواريخ القيسيين^(١٧) . وربما كان من الأفضل أن نتوقف قليلاً أمام الآفار والسلاف لإبراز بعض خصائصهما فى هذه المرحلة.

كان الآفار قد حققوا فى تلك المرحلة قدراً من التطور السياسى ونجحوا فى تكوين دولة لها نظم وعلى رأسها ملك يعرف بالخان ولها جيش منظم . كما استطاعوا فرض وجودهم على جيرانهم والنخول فى مفاوضات دبلوماسية وعقد معاهدات سياسية مع البيزنطيين واللومبارديين والفرنجة وغيرهم . وإذا كان الآفار قد تخلوا فى تلك المرحلة عن ممارسة الرعى بأنفسهم ، فأنهم لم يقوموا بفلاحة الأرض ولم يحرصوا على الاستقرار خارج نطاق الاستبس المألوف لهم وعاشوا على ما تنتجه الأقوام الرعية والزراعية الخاضعة لهم . أما السلاف فكانوا عناصر غير منظمة لم تجمعها وحدة سياسية ولم تكن لها مطامع سياسية ، فكل قبيلة صغيرة كانت تعمل لحسابها وتتحرك بمفردها ، ولهذا لم نسمع عن مفاوضات دبلوماسية يجريها السلاف أو معاهدات عقدها . وكان السلاف فى معظمهم مزارعين مجتهدين تطلعوا إلى الأرض الزراعية والقابلة للزراعة للاستقرار فيها وتعميرها وكانوا

قادرين على الجمع بين النشاط الزراعى والرعى إذا لزم الأمر . وعلى هذا تميزت إغارات الأفار بالسلب والنهب والتدمير والعودة إلى شمال النهر ، بينما استهدفت إغارات السلاف الاستقرار فى أقاليم البلقان^(١٨) .

وهكذا استقرت العناصر السلافية بأعداد ضخمة فى مناطق متعددة من شبه جزيرة البلقان وامتدت مناطق استيطانهم عبر اليونان جنوباً إلى شبه جزيرة البلبونيز ، لدرجة أن المراكز التى ظلت تحت الإدارة المباشرة للإمبراطورية كانت قليلة واقتصرت على تراقيا ، مدينة سالونيك ، اتيكا ، شرق البلبونيز ، جزر البحر الإيجى ، وبعض المدن على ساحل البحر الادرياتي وجزر البحر الايوني^(١٩) . ولم تكن الإدارة البيزنطية فى مطلع القرن السابع فى موقف يسمح لها بالاهتمام بالبلقان ، وفى النصف الثانى من القرن السابع كان الوقت قد تأخر لإنقاذ شبه الجزيرة من التغلغل السلافى .

وتؤكد الشواهد أن تبدلاً جوهرياً وخطيراً قد أصاب الحياة فى شبه جزيرة البلقان نتيجة إغارات الأفار واستقرار العناصر السلافية بأعداد كبيرة فى أقاليمها . وإذا كان لزاماً علينا أن نحاول حصر تلك الشواهد فى أقاليم شمال غرب البلقان موضوع هذه الدراسة فإن هذا لا يعنى أن تلك الشواهد كانت قاصرة عليها .

أولاً : قوضت غزوات الأفار واستقرار القبائل السلافية فى كل أقاليم شمال غرب البلقان توازن الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وكانت هذه الظاهرة أكثر حدة فى المجتمعات الزراعية فى القسم الغربى

من سهل الدانوب حيث هجر كثير من صغار المزارعين مزارعهم وقراهم ، وانقطعت الطرق وانعدم الأمن .

ثانياً : على الصعيد الديموجرافى ، تغيرت الخريطة العرقية بدخول العناصر السلافية واستقرارها فى أقاليم شمال غرب البلقان . وتجدر الإشارة إلى أن بعض تلك الأقاليم كانت تعاني من نقص السكان كما كانت بعض أجزاء القسم الغربى من سهل الدانوب غير مستغلة قبل وصول السلاف إليها بسبب الحروب التى شهدتها المنطقة على امتداد القرنين الرابع والخامس من الميلاد ، وعلى هذا كان استقرار العناصر السلافية فيها تعميراً لها ، ولكن فى مناطق أخرى ترتب على غزو السلاف وعلى استقرارهم فيها ، نزوح جماعى لسكانها الأصليين من الليريين والداماشيين الناطقين باللغة اللاتينية ، إما إلى المراكز الساحلية التى ظلت فى أيدى الإدارة البيزنطية ، أو إلى جبل الإلب الالبنارية المرتفعة .

ويلاحظ أن بعض هذه الجماعات من السكان الأصليين النازحين إلى الجبال قد أقامت فى قرى صغيرة فى الأودية المنحدرة خلال فصل الشتاء ، أما فى فصل الصيف فإنها كانت تصعد إلى مستويات أعلى من الجبال لممارسة رعى الأغنام والماعز . بالنسبة للسكان الأصليين من الليريين الذين حافظوا على لغتهم الليرية ولم يكتسبوا عناصر الحضارة الرومانية ، فقد نزحوا جنوباً إلى الجبال المرتفعة فى شمال البانيا وإقليم كوسوفو^(٢٠) .

ثالثا : تأثرت المدن فى شبه جزيرة البلقان بهذا الغزو السلافى فأصاب الدمار بعضها واطمحت معظم المدن فى المناطق التى استقرت فيها العناصر السلافية ، إذ فقدت طابع حياة المدينة القديمة بسكانها المدنيين من التجار والحرفيين وملوك العقارات ومؤسساتها ومنشأتها مثل مجالس المدن والأسقفيات والمسارح والمسابح العامة ، لقد تعلم السلاف بمرور الوقت حصار المدن والاستيلاء عليها ، وفى البداية تجنبوا الإقامة فيها وفضلوا الاستقرار فى مستوطنات خاصة بهم خارج المدن اليونانية الرومانية القديمة ، ومن المدن التى تعرضت للتدمير مدينة سالونا Salona على ساحل البر الادرياتي التى دمرها السلاف فى مطلع القرن السابع الميلادى . أما مدينة سيرميوم Sirmium على نهر الدانوب قد بدأ اضمحلالها التدريجى عقب فتح الأتار لها سنة ٥٨٢م (٢١) .

رابعا : لا شك أن اعداد العناصر السلافية التى استقرت فى أقاليم البلقان كانت كبيرة ، وكان من تداعيات هذا الحدث اختفاء العديد من الأسماء الأكليرية واليونانية والرومانية للمراكز والمدن والوديان النهرية وروافدها ، واتخاذ أسماء سلافية بديلة . فمثلاً سينجيدونوم Singidunum أصبحت بلغراد Belgrade ، أمونا Emona أصبحت لبوبليانا Ljubljana ، سرديكا Serdica أصبحت

صوفيا . كما أصاب التحريف بعض أسماء المدن الأخرى نايسوس Naissus أصبحت نيش ، سيسكيا Siscia أصبحت سيزاك Sisak ... الخ . وهكذا تغيرت الخريطة اللغوية لشبة الجزيرة ، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم أصبحت اللغات السلافية هي لغات دائمة لسكان شمال البلقان أى للكيانات السياسية الواقعة شمال حدود القطاع الأوربي من تركيا الحالية ، وشمال اليونان وشرق وشمال ألبانيا (٢٢) .

على أية حال يعتبر قيام الأفار بتنظيم وتوجيه الغزو السلافى لشبه جزيرة البلقان أهم أثر خلفوه . فالنولة المترامية الأطراف التى شيدوها كانت قصيرة العمر ، وكانت القبائل الخاضعة لها تتحين الفرصة للتحرر من سلطانها . وفى عام ٦٢٦م حانت الفرصة عندما حاصر خان الأفار بالتعاون مع السلاف والفرس مدينة القسطنطينية من البر والبحر ، وانتهى الحصار بالفشل والانسحاب (٢٣) . وكانت هزيمة الأفار نقطة تحول هامة فى تاريخهم ، إذ أخذ اهتمامهم بالبلقان يتضاءل بعد ذلك أمام الخطر الذى مثله تقدم الفرنجة تجاه بانونيا Pannonia فى وقت اندلعت فيه الثورات ضد سلطانهم فى الداخل .

بعد انتصار الإمبراطور هرقل على الفرس سنة ٦٢٨م ، أصبح فى وسع الإمبراطورية البيزنطية توجيه اهتمامها إلى البلقان ، وتعتبر بعض الإجراءات التى اتخذها هرقل بعيدة الأثر بالنسبة لتاريخ شمال غرب البلقان . كان

هدف الامبراطور احتواء خطر الآفار ، ولهذا سعى إلى دفع حدود دولتهم بعيداً بتدبير وتمويل الثورة عند الطرفين الشرقي والغربي لدولتهم . وبدأت الإدارة البيزنطية الاتصال بكل من الكروات والصرب والبلغار وتحريضهم على التمرد على سلطان الآفار^(٢٤) . والبلغار قبيلة من الترك التي استقرت فى المنطقة الواقعة بين بحر أزوف Azov ومجرى نهر الدون Don الأدنى ، أى عند الطرف الشرقى لدولة الآفار . وبالفعل ثار خان البلغار ضد سيادة الآفار ويفضل الدعم البيزنطى تمكن من طرد الآفار خارج النطاق الممتد شمال البحر الأسود . وحوالى منتصف القرن السابع الميلادى تحرك البلغار غرباً بسبب ضغط الخزر Khazars حتى وصلوا إلى دلتا نهر الدانوب عند مصبه فى البحر الأسود وابتداء من سنة ٦٧٠م بدأ عبورهم النهر تدريجياً الى الاقليم الشمالى من البلقان الذى يعرف بدوبرجيا Dobrovia ، وكانت العناصر السلافية قد استقرت فيه من قبل^(٢٥) .

أما قبيلتى الكروات Croats والصرب Serbs فقد خصص لهما الإمبراطور قسطنطين السابع بعض فصول مؤلفه الشهير عن الإدارة الامبراطورية^(٢٦) . ويرجح المؤرخون المعنيون بالدراسات السلافية أنهما أصلاً من قبائل السرامطة Sarmatians الإيرانية الرعوية التى عبرت نطاق الاستبس الأوراسى وتقدمت غرباً حيث انقسمت كل قبيلة إلى قسمين . قسم أقام شمال جبال الكرابات . وقسم آخر واصل تقدمه غرباً حيث استقر الكروات فى جنوب شرق بوهيميا وعرفوا بالكروات البيض ، بينما استقر

الصرب ج
العناصر
الأوربي
خضع بعض
قد امتزجت
وتش
الكروات
وقامت إلى
الشمال
الادرياتي
سلطانهم
الجماعات
زعماء إلى
المسيحية
بعثات تد
بقسميها
روما (٢٨)
أم
الإقليم

الصرب جنوب سكسونيا ، وعلى هذا عندما بدأت بيزنطة اتصالاتها بتلك العناصر ، كان اتصالها فى الواقع بالكروات والصرب القاطنين السهل الأوربى الشرقى شمال جبال الكاربات وسط الأقوام السلافية التى ربما خضع بعضها لهما . ومن المحتمل أن تكون دماء العناصر الصربية والكرواتية قد امتزجت بدماء العناصر السلافية قبل هجرتهم إلى البلقان^(٢٧) .

وتشير المصادر البيزنطية إلى أن الإمبراطور هرقل قام بتشجيع الكروات والصرب على الثورة ضد الأفار ، كما دعاهم إلى عبور الدانوب . وقامت الإدارة البيزنطية بإنزال الكروات فى الإقليم الواقع فى أقصى الشمال الغربى من شبه جزيرة البلقان بين نهر الدرافا Darava والبحر الأدرياتي واستطاع الكروات طرد الأفار من بعض ولاية الليريا الغربية ومحو سلطانهم على طول ساحل دناشيا ، وحلوا بذلك محل الأفار كسادة على الجماعات السلافية المستقرة هناك . وفى مقابل استقرارهم هناك اعترف زعماء الكروات بالسيادة الاسمية للإمبراطور البيزنطى ووافقوا على اعتناق المسيحية بناء على طلب الإمبراطور هرقل الذى طلب من كنيسة روما إرسال بعثات تبشيرية لنشر المسيحية بينهم . وكان هذا أمراً طبيعياً لأن ولاية الليريا بقسميها الغربى والشرقى كانت حتى القرن الثامن الميلادى تابعة لكنيسة روما^(٢٨) .

أما الصرب فقد أنزل الإمبراطور هرقل فى البداية جزءاً منهم فى الإقليم الواقع جنوب غرب مدينة سالونيك . ثم قام بعد ذلك بتهجيرهم مع

بقية العناصر الصربية إلى شمال غرب البلقان . فاستقر الصرب الى الشرق من عناصر الكروات جنوب مدينة سينجيدونوم (بلغراد) . واستطاع الصرب طرد الأتار من بقية أقاليم ولاية الليريا الغربية وحلوا محلهم كسادة على الجماعات السلافية المستقرة هناك . وفى مقابل استقرارهم هناك اعترف زعماء الصرب بالسيادة الاسمية للإمبراطورية البيزنطى . وقام الإمبراطور بترتيب إرسال بعثات تبشيرية لنشر المسيحية بينهم . ورغم أن المبشرين الأوائل جاؤا أيضاً من روما . فإن النشاط الحقيقى لنشر المسيحية هناك جاء من القسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى^(٢٩).

وهكذا سمحت الإدارة البيزنطية بوقوع أجزاء كبيرة من شمال غرب البلقان فى أيدي قوى حليفة لها تعترف بسيادتها الاسمية . وكانت نواقع هذا الإجراء واضحة بالنسبة للإمبراطور هرقل . ففى نظره كان الأتار وليس السلاف هم مصدر الخطر الحقيقى . ولهذا حرص الإمبراطور على تهجير عناصر يمكنه الاعتماد عليها كونه كيانات سياسية أحاطت من جهة الجنوب بإقليم بانونيا Pannonia الذى كان مركز سلطان الأتار ، بينما ترك أجزاء كبيرة من شرق البلقان واليونان فى أيدي العناصر السلافية^(٣٠) .

(٤)

" الكروات والصرب والبوسنة "

1

الكروات والصرب والبوسنة

شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن الميلادي تطوراً خطيراً عندما انتصر الفرنجة في عهد شارلمان على الأفار في معركتين كانت الأولى سنة ٧٩١ م ، وكانت الثانية حاسمة سنة ٧٩٦ م^(٣١) . إذ ترتب على نهاية دولة الأفار سنة ٨٠٥ م تغير ميزان القوى في شمال البلقان ، وبدلاً من أن يعود ذلك بالقائدة على بيزنطة استفادت منه الكيانات السياسية الجديدة في شمال البلقان . فقد فتح هذا التطور الطريق أمام توسع البلغار غرباً على طول نهر الدانوب حتى جاورت حدود بلغاريا الشمالية الغربية دولة الفرنجة . كما استفاد الكروات من ذلك ومدوا سلطانهم شمالاً حيث استقرت عناصر كرواتية تنقسم إلى مجموعتين : كروات دالماتيا المستقرين جنوب نهر السافا ، وكروات بانونيا Pannonia المستقرين شمال نهر السافا^(٣٢) .

ولما كانت غالبية السكان في دولتي الكروات والصرب من العناصر السلافية فإن اندماج الكروات والصرب بالعناصر السلافية المحكومة سار بخطى حثيثة . وبمرور الوقت نسي الكروات والصرب لغتهما الإيرانية الأصلية واتخذوا لهجة العناصر السلافية الخاضعة ، وأصبحت هذه اللغة تعرف باللغة الصرب - كرواتية رغم أنها واحدة من اللهجات السلافية الجنوبية^(٣٣) . ولقد تكرر هذا التطور أيضاً في شمال شرق البلقان بالنسبة للبلغار ، ففي منتصف القرن التاسع الميلادي تحقق اندماج البلغار بالسلاف ، ونسي البلغار لغتهم التركية الأصلية واتخذوا لهجة مواطنيهم السلاف الذين كانوا

يمثلون الأغلبية أيضاً وأصبحت هذه اللغة تعرف بالبلغارية^(٣٤) والحقيقة أن مجموعة لغات السلاف الجنوبيين أى السلاف المستقرين فى البلقان تضم كلاً من :

١ - اللغة الصرب - كرواتية (ويتكلمها اليوم ١٩ مليون نسمة هم سكان الصرب وكرواتيا - والبوسنة - والجبل الأسود) .

٢ - اللغة السلوفينية (ويتكلمها اليوم ٢ مليون نسمة هم سكان جمهورية سلوفينيا فى شمال غرب ما كان يعرف بيوغسلافيا) .

٣ - اللغة المقدونية (ويتكلمها اليوم ٢ مليون نسمة فى جمهورية مقدونيا فى جنوب شرق ما كان يعرف بيوغسلافيا) .

٤ - البلغارية (ويتكلمها اليوم ٩ مليون نسمة هو سكان جمهورية بلغاريا) .

ورغم اندماج وانصهار كل من الصرب والكروات فى العناصر السلافية واتخاذ لغة الأغلبية السلافية الخاضعة لغة عامة للجميع ، فإن الانتماء استمر للعرق الغالب أى لعنصر الصرب أو عنصر الكروات ، كما حملت اللغة السلافية العامة السائدة اسم العرقين معاً فعرفت باللغة الصرب - كرواتية . أما العناصر السلافية الأخرى التى استقرت جنوب نهر السافا Sava بين دولتى الكروات والصرب فإنها تركزت حول نهر البوسنة Bosna وسيطرت على المنطقة الممتدة من وادى درينا Drina شرقاً حتى وادى فرباس Vrbas غرباً . هذه العناصر السلافية لم تخضع لعرق غالب تنتمى إليه ، ولذلك انتمت لنهر

البوسنة الذى يجرى وسط مستوطناتها وعرفت بلادهم بالبوسنة Bosnia ومن المرجح أن السلاف الذين استقروا هناك منذ مطلع القرن السابع الميلادى أطلقوا على النهر اسم البوسنة Bosna بدلا من اسمه الالىرى القديم ، ثم انتسبوا إليه بعد ذلك .

وتشير المصادر إلى استقرار قبيلة سلافية تسمى الزاكومى Zachumi جنوب البوسنة حول نهر نرتفا Neretva فى ذلك الإقليم الذى سيعرف بالهرسك بعد ذلك (٢٥) .

ويخطئ من يعتقد أن أهل البوسنة هم البشناق Patzinaks الترك الذين هددوا الدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى ، فأهل البوسنة هم السلاف الذين استقروا حول نهر البوسنة منذ مطلع القرن السابع الميلادى وشكلوا دولة حاجزة بين الكروات والصرب قبل أول ظهور للبشناق فى وثائق التاريخ بثلاثة قرون على الأقل .

على أية حال إذا كان زعماء الكروات والصرب قد وافقوا على اعتناق المسيحية فى القرن السابع الميلادى ، فإن التحول الحقيقى لسكان كرواتيا ودولة الصرب بدأ فى القرن التاسع بفضل التنافس الذى ميز النشاط التبشيري الضخم الذى قامت به كنيسة روما والقسطنطينية . وكانت كرواتيا بحكم موقعها أكثر انفتاحاً على الغرب اللاتينى وتعرضاً لتأثيره . والمعروف أن توسع دولة الفرنجة شرقاً قد أدى إلى خضوع كروات بانونيا Pannonia للفرنجة أما كروات دالماشيا فقد أعلنوا تبعيتهم للفرنجة أيضاً

سنة ٨٠٣ م ، وفى النهاية تنازلت بيزنطة عن سيادتها على هذا الإقليم للفرنجة بمقتضى معاهدة أخن سنة ٨١٢ م ولكنها احتفظت بسيادتها على المراكز الحصينة على ساحل دالماشيا والجزر المقابلة ، ومنذ ذلك الحين أخذ سكان كرواتيا يتحولون إلى المسيحية على مذهب كنيسة روما بفضل نشاط البعثات التبشيرية اللاتينية واهتمام البابوية^(٣٦) .

أما بلاد الصرب فقد أدرك حاكمها فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى أن بقاء شعبه على الوثنية يعوق التقدم الحضارى لدولته ، فأرسل سفارة إلى الإمبراطور البيزنطى باسيل الأول (٨٦٧-٨٨٦ م) تعلن خضوع الصرب للسيادة البيزنطية ورغبة أهلها فى اعتناق المسيحية على مذهب كنيسة القسطنطينية . وكانت الإدارة البيزنطية ترى أن اعتناق دولة الصرب للمسيحية الأرثوذكسية سيؤدى إلى توثيق تبعيتها للإمبراطورية لأن التبعية الروحية لبطريك القسطنطينية تتضمن من حيث المبدأ التبعية السياسية للإمبراطور . وبالفعل استجابت بيزنطة لمطالب الصرب . ومن المرجح أن تحول سكان الصرب النهائى للمسيحية الأرثوذكسية قد حدث فى الفترة الممتدة من ٨٦٧ م وحتى سنة ٨٧٤ م^(٣٧) .

أما فى البوسنة فقد أدى انتشار المستوطنات السلافية فى مجتمعات متناثرة حول وديان إقليم يتميز بالمرتفعات ذات الممرات الوعرة إلى ضعف أثر البعثات التبشيرية وجعلت العناصر السلافية المستقرة هناك تتمسك بانتمائها المستقل وهويتها الخاصة . ويانتشار الكاثوليكية فى دولة الكروات

والأرثوذكسية فى بلاد الصرب ازداد تبلور نور الدولة الحاجزة للبوسنة ،
والتي ظل سكانها على وثنيتهم فترة أطول وعندما فتحو أبوابهم فى النهاية
لتيار المسيحية الوافد من أقاليم الصرب كانت استجابتهم أكبر للدعاة
المبشرين بالفكر الدينى المعارض فاعتنقوا الهرطقة البوجوميلية وتمسكوا
بها ، ووجدوا فيها هوية لهم منذ القرن الثانى عشر وحتى القرن الخامس عشر
الميلادى (٣٨) .

وإذا كنا قد أشرنا إلى قيام كيانات سياسية صغيرة باسم كرواتيا
وصربيا والبوسنة فى الجزء الشمالى الغربى من شبه جزيرة البلقان فيجب ألا
ننسى أن طبيعة التضاريس الجبلية الغالبة على تلك الأقاليم والغابات التى
تغطى مساحات كبيرة منها جعل المسالك والطرق وعرة وقليلة بين المستوطنات
السلافية المتناثرة فيها . وحتى القرن الثانى عشر الميلادى كانت أقاليم
الصرب والبوسنة تعاني من التخلف ولم يكتمل التحول فيها إلى الاقتصاد
الزراعى رغم وجود أراضى صالحة للزراعة حول وديان الأنهار التى تجرى
فيها . وتتأكد هذه الصورة إذا طالعنا كتابات المؤرخين الذين صاحبوا
الحملة الصليبية الأولى والثانية والثالثة وما سجلوه من وصف للأقاليم
التي عبروها فى البلقان . فالمؤرخ ريمونداجيل يصف عبور جيش ريموند
الرابع كونت تولوز أقاليم سلافية تدخل فى نطاق كرواتيا والبوسنة
والجبل الأسود فى طريقه إلى البانيا ، ويشير إلى مصاعب الرحلة التى
استغرقت أربعين يوماً عبر الجبال الوعرة والغابات الكثيفة والفرسان

يتحسسون الطريق وسط سحب الضباب . كما يصف تخلف السكان السلاف الذين هربوا من قراهم وتحصيناتهم ورفضوا الاتجار مع الفرنجة أو إمدادهم بالموث والادلاء مفضلين قطع الطرق عليهم واستنزافهم^(٣٩) . أما المؤرخ أودو من دويل Odo of Deuil الذى وصف رحلة الملك الفرنسى لويس السابع إلى الشرق فى الحملة الصليبية الثانية ، فيصف الطريق الذى عبره الملك الفرنسى سنة ١١٤٧م من بلغراد إلى نيش فى خمسة أيام وكيف كانت تغطية الغابات الكثيفة والمروج . ويؤكد المؤرخ المجهول (الذى يعرف باسم Ansbert) ، الذى سجل أحداث حملة الإمبراطور فردريك بارباروسا سنة ١١٨٩م ، بشكل عام الوصف الذى سجله أودو الفرنسى للمنطقة الواقعة جنوب بلغراد فى بلاد الصرب^(٤١) ويبدو أن القسم الغربى من سهل الدانوب الذى يقع شمال صربيا وشرق كرواتيا كان أيضاً غير مستغل زراعياً ويتميز بنقص الكثافة السكانية وتنتشر فيه الأحراش المناسبة للصيد على حد قول المؤرخ البيزنطى يوحنا كناموس Ioannes Cinnamus فى القرن الثانى عشر الميلادى^(٤٢) .

هذا ، وقد أكد وليم الصورى الصورة التى رسمها مؤرخو الحملات الصليبية لإقليم شمال غرب البلقان . والمعروف أن وليم الصورى ، الذى يعتبر واحداً من أبرز مؤرخى العصور الوسطى ، قام بزيارة لمناطق الحدود الصربية سنة ١١٦٨م ، وعقب إشارته لتضاريس بلاد الصرب ، وصف وليم الصورى السكان هناك بالتخلف والغلظة والجهل بالزراعة ، وأكد أن بلادهم تمتلئ بقطعان الماشية والأغنام والماعز وتتميز بإنتاج الحليب والجبن والزبد

واللحوم والعسل والشمع . ولا شك أن هذا الوصف ينطبق على أقاليم لا يزال اقتصادها رعوياً . وأضاف نفس المؤرخ خبراً مثيراً حين ذكر أن بيزنطة حرصت على بقاء أقاليم شمال غرب البلقان منعزلة مهجورة ، وأن الإدارة الإمبراطورية كانت لا تسمح لأحد من رعاياها بدخول تلك الأقاليم للاستقرار فيها كما لم تشجع السكان هناك على ممارسة الزراعة ، ويعلق وليم الصورى يثن إبيروس Epirus التى تقع على مسيرة أربعة أيام من ديراخيم تلقت نفس المعاملة ، وأن البيزنطيين طبقوا هذه السياسة على أقاليم الأطراف وخاصة تلك الملاصقة لمالك أجنبية^(١٣) .

ولا شك أن الطبيعة الجغرافية لأقاليم شمال غرب البلقان قد أسهمت فى صياغة علاقات كل من كرواتيا وبلاد الصرب والبوسنة مع القوى المجاورة لها وخاصة الإمبراطورية البيزنطية - بلغاريا - دولة المجر . فمند دعوة الكروات والصرب فى القرن السابع الميلادى للاستقرار هناك ، اكتفت بيزنطة بالسيادة الاسمية على تلك الأقاليم . وفى عهد الإمبراطور ميخائيل الثانى (٨٢٠-٨٢٩م) سمحت الإدارة البيزنطية بالاستقلال الذاتى للكروات والصرب والعناصر السلافية المستقرة فى البوسنة فضلاً عن مدن ساحل دالماشيا والجزر المقابلة لها^(١٤) .

وعندما تكررت إغارات المسلمين البحرية فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى على مدن الساحل الشرقى للبحر الادرياتي . تعاونت بيزنطة مع مدن ساحل دالماشيا وأمراء كرواتيا وجنوب البوسنة فى القيام بهجوم

بحرى مضاد انطلق من مدينة راجوسا Ragusa (دبروفنيك) ضد قاعدة المسلمين فى أبوليا Apulia بجنوب إيطاليا (٤٥) .

ورغم أن الإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور باسيل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م) نجحت بعد حرب طويلة فى القضاء على الدولة البلغارية الأولى وضمت أقاليمها إلى الكيان الإمبراطورى واستردت سيادتها على شبه جزيرة البلقان سنة ١٠١٨م ، فإنها أبقت أقاليم الكروات والصرب والبوسنيين فى ظل حكم أمرائها المحليين الذين اعترفوا بسيادة الإمبراطور (٤٦) . وظلت تلك السيادة إسمية فى حالة الكروات الذين لم يهتموا بالمصالح السياسية البيزنطة فى البحر الادرياتي . وعندما أصبح على الدولة البيزنطية مواجهة قوة البندقية المتنامية فى البحر الادرياتي ، اضطرت الإدارة الإمبراطورية إلى التخلّى عن سلطانها الفعلى على ممتلكاتها فى المراكز الحصينة على ساحل دالماتيا لصالح كرواتيا سنة ١٠٦٩م (٤٧) ، وهكذا كانت كل العوامل مواتية لاستقلال كرواتيا الكامل وخروجها من دائرة النفوذ البيزنطى . وفى سنة ١٠٧٥م تم تتويج ديمترى زفونيمير Demetrius Zvonimir ملكاً على كرواتيا على يد مندوب البابا جريجورى السابع . ولكن إذا كانت كرواتيا قد استطاعت التخلص من نفوذ القسطنطينية البعيدة ، فإنها سرعان ما سقطت فى نفوذ دولة المجر المجاورة التى دخلت منذ القرن الثانى عشر فى صراع عنيف مع بيزنطة من أجل السيادة على شمال البلقان . والحقيقة أن كرواتيا أصبحت منذ سنة ١١٠٢م جزءاً تابعاً لدولة المجر باستثناء فترة قصيرة عادت فيها لدائرة النفوذ البيزنطى بين عامى ١١٦٧-١١٨١م . ومنذ ذلك الحين تعلق

مستقبل كرواتيا بوسط أوروبا وارتبطت مصالحها بالغرب اللاتيني الكاثوليكي (٤٨).

إذا انتقلنا الى البوسنة سنجد أن زعماء العناصر السلافية المستقرة فيها وزعماء قبيلة الزاكلومى Zachlumi المستقرة فى جنوبها ، كانوا أكثر التزاماً بالسيادة الاسمية للدولة البيزنطية من جيرانهم الكروات والصرب . ورغم أن البوسنيين كانوا معزولين فى جبالهم ووديانهم المنحدرة وعلاقاتهم التجارية والسياسية بجيرانهم محدودة ، فإن تاريخ البوسنة من القرن العاشر وحتى القرن الرابع عشر الميلادى ارتبط دائماً بصراع القوى السياسية المجاورة وتوسعها الإقليمى . فمنذ نهاية القرن التاسع استولى الكروات على أجزاء كبيرة من شمال البوسنة (٤٩) .

وفى القرن العاشر عندما توسع البلغار تجاه الغرب فى عهد القيصر سيميون مدوا سلطانهم حتى جنوب البوسنة كما أخضعوا الإمارات الصربية المجاورة . وفى القرنين الحادى عشر والثانى عشر تورطت البوسنة فى ثورات أمراء الصرب من أجل الاستقلال الكامل عن الدولة البيزنطية ، وخضعت أجزاء منها لحكم دولة الصرب (٥٠) .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى عندما مدت المجر سيادتها على كرواتيا استولت أيضاً على أجزاء من شمال البوسنة . وظلت البوسنة تدور فى فلك دولة المجر طوال القرن الثالث عشر وحتى العقد السابع من القرن الرابع عشر الميلادى (٥١) .

وخلال هذه الفترة تطورت البوسنة وعرفت الاقتصاد الزراعى إلى جانب الاقتصاد الرعوى وترتب على ذلك تبلور شكل من أشكال النظام الإقطاعى وظهور طبقة من كبار ملاك الأرض . هذا ، ونمت مملكة البوسنة بسرعة فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر واستقامت من تغير ميزان القوى فى البلقان عقب ظهور الأتراك العثمانيين وانتصاراتهم على كل من البيزنطيين والبلغار والصرب . وعقب اعتلاء تفرتكو الأول Tvrtko I عرش البوسنة سنة ١٣٧٧م ، بدأ توسعاً سريعاً وقوياً داخل أراضي كرواتيا وساحل دالماتيا وصربيا وترتب على ذلك قيام مملكة البوسنة الكبرى وأصبح ملك البوسنة أقوى ملك مسيحي فى البلقان . ولكن هذه الصلوة البوسنية كانت قصيرة العمر إذ سرعان ما قضى عليها الأتراك العثمانيون أيضاً^(٥٢).

أما اسم الهرسك Herzegovina فقد أطلق على الجزء الجنوبى من مملكة البوسنة فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى قبل استيلاء العثمانيين على المملكة . أما سبب التسمية فيرجع إلى قيام أحد كبار ملاك الأرض ويدعى شتيان فوكشيس كوساشا Stjepan Vukcic Kosaca (١٤٠٥-١٤٦٦م) بالثورة على ملك البوسنة آنذاك وأعلن نفسه هرتزج Herzeg أى نوقاً على إقليم القديس سافا St. Sava واستقل بحكمه . ومنذ ذلك الوقت عرف الإقليم باسم Herzegovina أى أرض النوق . وبعد الفتح العثمانى أصبح يعرف بسنجق الهرسك أى إقليم النوق^(٥٣).

أما بلاد الصرب فكانت أكثر أقاليم شمال غرب البلقان تطلعاً إلى الاستقلال عن الإمبراطورية البيزنطية ، والحقيقة أن تضاريس بلاد الصرب ساهمت في نمو الاتجاه المحلى الانفصالى فقامت عدة إمارات صربية اقتسمت النفوذ فيما بينها ، وكان أهمها إمارتى ديوكليا Dioclea في الغرب ورأسكيا Rascia في الشرق . وفى العقد الرابع من القرن الحادى عشر الميلادى نمت إمارة ديوكليا الصربية حول بحيرة سكوتارى Scutari وخليج كوتور Kotor أول إمارة صربية تنجح في الاستقلال، كما توسعت وضمت إمارات صربية أخرى وأجزاء كبيرة من جنوب البوسنة. ولكن بيزنطة استطاعت سنة ١٠٩٠م هزيمة أميرها وقضت على استقلالها واستردت نفوذها من جديد على بلاد الصرب. وفى القرن الثانى عشر فقدت إمارة زتا Zeta دورها السياسى وانتقلت قيادة الصرب إلى أمراء رأسكيا Rascia (٥٤) .

ورغم خضوع بلاد الصرب للإمبراطور البيزنطى ، الذى تدخل فى تعيين وعزل أمراء رأسكيا ، فإن روح الثورة ظلت كامنة ، ولقد استغل أمراء الصرب انشغال بيزنطة بحروبها ضد المجر فى القرن الثانى عشر وتوسعوا شرقاً نحو نيش Nisch وجنوباً نحو مقدونيا . وبعد وفاة الإمبراطور مانويل كومنين سنة ١١٨٠م بدأ تمرد أمراء الصرب ضد النفوذ البيزنطى ونجحوا فى ضم جزء من ساحل دلماشيا وأجزاء أخرى من البوسنة . وفى سنة ١١٩٠م وبعد حرب قصيرة وقعت الدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور إسحاق أنجلوس Isaac Angelus معاهدة مع الصرب تضمنت اعترافاً بيزنطياً باستقلال دولة الصرب التى نجحت فى الاحتفاظ بمعظم الأقاليم التى

استولت عليها . وأعقب تلك المعاهدة انعقاد أول زواج سياسى بين أسرة أنجلوس الحاكمة فى بيزنطة وأسرة نمانجا Nemanja الحاكمة فى دولة الصرب^(٥٥) .

لا شك أن اضمحلال سلطان الدولة البيزنطية فى البلقان عقب سقوط القسطنطينية الأول فى يد الصليبيين سنة ١٢٠٤م قد انعكس على دولة الصرب . ففى القرن الثالث عشر الميلادى تأرجحت سياسة دولة الصرب الخارجية بين المصالح المتنافسة لجيرانها الأقوياء ، فأحياناً تحالف حكام الصرب مع أمراء ابيروس أو مع حكام بيزنطة فى المنفى المستقرين فى نيقية ، وفى أحيان أخرى تحالفوا مع دولة المجر وحكام صقلية الذين ازداد نفوذهم وتعلقت مصالحهم بالبلقان ، أما من الناحية الحضارية ، فقد استمر احتفاظ دولة الصرب حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى بموقف وسط بين العالم الغربى اللاتينى الكاثولىكى والعالم البيزنطى اليونانى الأرثوذكسى . وقد ظهر ذلك جلياً فى التعميد المزدوج لأميرها نمانجا Nemanja فى البداية على يد قسٍ لاتينى فى إمارة زتا Zeta ، ومرة ثانية على يد أسقف أرثوذكسى فى راسكيا Rascia ، كما تتمثل هذه الازواجية فى قبول ابنه شتفان Stephen تاجاً ملكياً من روما سنة ١٢١٧م ، ثم نجاحه بعد ذلك بعامين فى الحصول على استقلال الكنيسة الصربية الأرثوذكسية الذاتى من نيقية مقر الحكومة البيزنطية فى المنفى^(٥٦) .

على أية حال ، بدأ هذا التوجه المزيج نحو الشرق والغرب يتغير فى منتصف القرن الثالث عشر عندما نمت دولة الصرب بعد اكتمال تحولها إلى الاقتصاد الزراعى واكتمال نضج النظام الإقطاعى الذى عرفته منذ أواخر القرن الثانى عشر . وفى تلك الفترة بدأ توسع دولة الصرب فى اتجاه الجنوب الشرقى وضمت أقاليم مقدونيا وشمال اليونان وأصبحت بذلك تجاور المدن البيزنطية على ساحل البحر الايجى .

ولقد بلغ هذا التوسع ذروته بفتوحات شتفان دوشان Stephen Dusan (١٣٣١-١٣٥٥م) ، الذى حمل لقب قيصر منذ سنة ١٣٤٥م . وبهذا الفتح أصبحت دولة الصرب الكبرى أكثر توجهاً نحو الشرق . ومنذ ذلك الوقت وحتى هزيمتها ثم سقوطها فى أيدي الأتراك العثمانيين أصبحت دولة الصرب بكنيستها الأرثوذكسية المستقلة ذاتياً أشد ارتباطاً بالحضارة البيزنطية^(٥٧).

وجدير بالذكر أن نمو النظام الإقطاعى فى دولة الصرب والدور القوى الذى أخذت تلعبه الكنيسة فى إطاره وما صاحب ذلك من تمايز طبقى قد ساعد على انتشار الهرطقة البوجوميلية بين الفئات المعدمة فى المجتمع الصربى .

وتشير المصادر الصربية إلى البعد الاجتماعى لتلك الحركة ، وتذكر أن هجوم الهرطقة كان موجهاً فى القرن الثالث عشر ضد القيصر والنبلاء من السادة الاقطاعيين وكبار رجال الكنيسة الصربية وأن الهرطقة تعرضوا للاضطهاد^(٥٨).

أما في البوسنة المجاورة فقد انتشرت نفس الهرطقة في إطار أبعاد أخرى طوال ثلاثة قرون من القرن الثاني عشر وحتى سقوطها في يد الأتراك العثمانيين في القرن الخامس عشر . لقد وجدت البوسنة في تلك الهرطقة هوية دينية لها بين أرثوذكسية الشرق وكاثوليكية الغرب فتمسكت بها حتى أصبحت عقيدتها العامة السائدة التي آمن بها العامة والنبلاء . كما وجدت فيها تعبيراً عن هويتها السياسية المستقلة في مواجهة جيرانها الطامعين فيها (٥٩) .

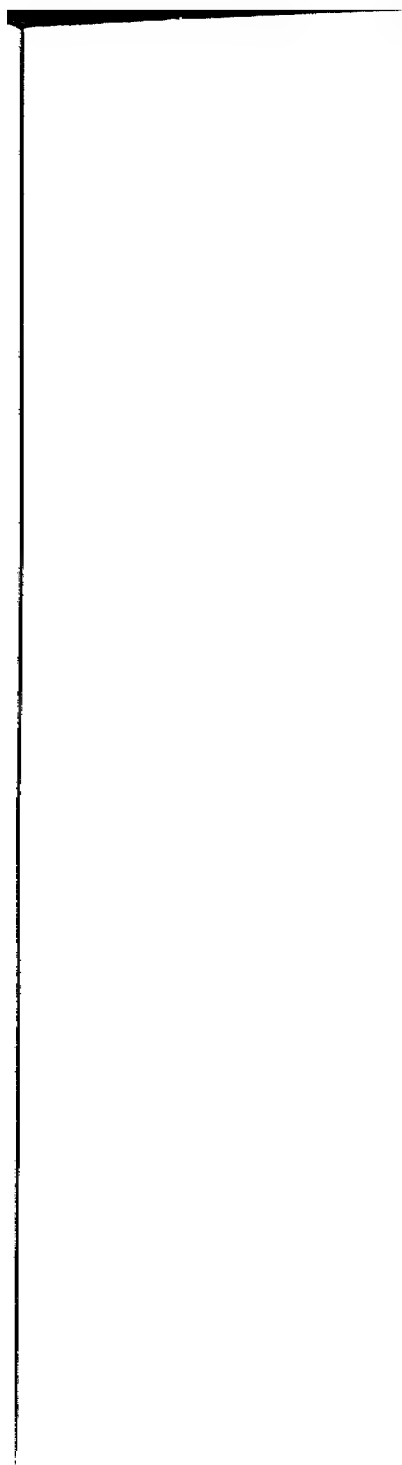
على أية حال ، بدأ الأتراك العثمانيون منذ منتصف القرن الرابع عشر في التوسع داخل شبه جزيرة البلقان . هذا ، وقد حسمت معركتي ماريتزا Maritsa في ٢٦ من سبتمبر ١٣٧١م ، وكوسوفو Kosovo في ١٥ من يونيو سنة ١٣٨٩م مستقبل البلقان لصالح الأتراك العثمانيين . ففي المعركة الأولى حقق السلطان مراد الأول (١٣٦٢-١٣٨٩م) انتصاراً كبيراً على جيش ملك الصرب الذي سقط في المعركة قتيلاً . وفي المعركة الثانية حقق بايزيد الأول (١٣٨٩-١٤٠٢م) ، نصراً حاسماً على جيش مملكة البوسنة المتحالف مع أمراء الصرب . وتوالى بعد ذلك سقوط الكيانات السياسية في البلقان : ففي سنة ١٣٩٦م سقطت بلغاريا وبعد سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣م . سقطت مملكة الصرب سنة ١٤٥٩م . كما سقطت مملكة البوسنة سنة ١٤٦٣م ، والهرسك بعد ذلك بعامين . وفي سنة ١٤٦٨م سقطت ألبانيا ، وأخيراً سقطت كرواتيا سنة ١٥٢٦م ، وبدأت شبه جزيرة البلقان صفحة جديدة في تاريخها أطلت فيها على العصر الحديث

الخاتمة

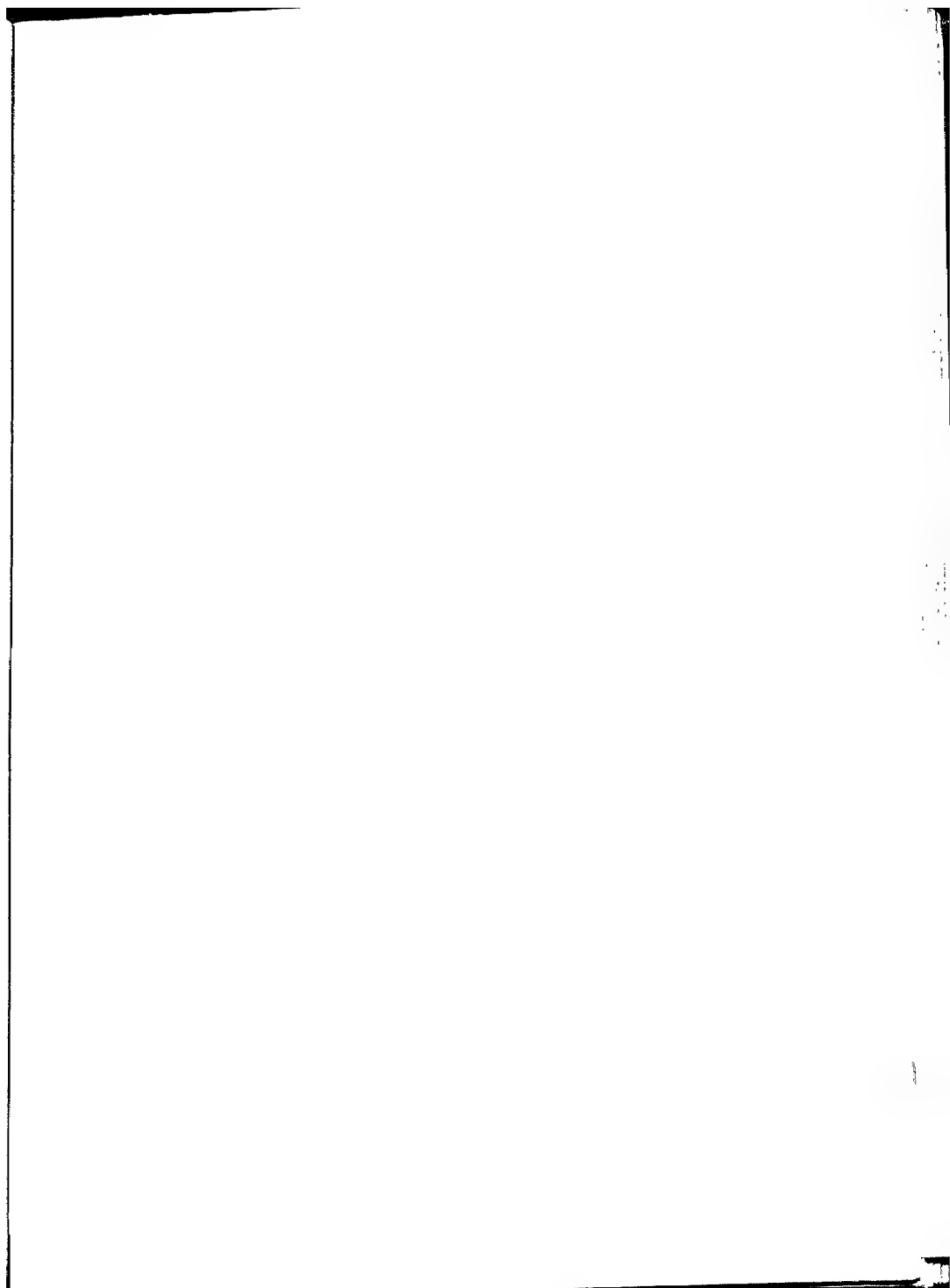
الخاتمة

وأخيراً ، ما الذى يمكن أن نخرج به من هذه القراءة فى تاريخ شمال غرب البلقان فى العصور الوسطى ؟ ربما يمكن استخلاص الملاحظة التالية:

عاشت كرواتيا والبوسنة وبلاد الصرب فى العصر الوسيط فى منطقة التقاء عالمين متنافسين وثقافتين متباينتين وتنوع عرقى قديم ، ورغم أن الدماء السلافية تجرى فى عروق الكروات والبوسنيين والصرب فإنها لم تكف لصنع هوية مشتركة فى أقاليم تشجع طبيعتها الجغرافية على نمو الاتجاهات الانفصالية والتوجهات التقسيمية التى احتضنت بالتالى ميراً تاريخياً وعقيدياً متبايناً . وإذا كانت كرواتيا قد وجدت هويتها فى عالم الغرب الأوروبى اللاتينى فقد ترك ذلك بصماته فى اعتناقها للكاتوليكية وفى كتابتها للغة الصرب - كرواتية بحروف لاتينية ، بينما وجدت بلاد الصرب هويتها منذ القرن الثالث عشر فى عالم الشرق الأوروبى فاتخذت رموزه باعتناقها للأرثوذكسية وكتابتها للغة الصرب - كرواتية بحروف سلافية مثل اللغتين البلغارية والروسية . أما البوسنة فقد عاشت تبحث عن هوية فى عصر كانت الهوية فيه دينية قبل تبلور فكرة القومية فى العصر الحديث . وفى البداية وأمام تيار المسيحية الزاحف اختارت جانب البوجوميلية التى كانت تمثل فكراً دينياً مناوئاً للكنيستين الشرقية والغربية على حد سواء . وتعرضت البوجوميلية للاضطهاد ، واعتبر البوسنيون ذلك محاولة لقتل هويتهم من جانب جيرانهم . وعندما فتح العثمانيون البلقان وجد شعب البوسنة فى الإسلام الهوية المناسبة للعصر الجديد ولكن ها هم يتعرضون من جديد لقتل الهوية!



الحواش والمصادر والمراجع



الحواشى

١ - للمزيد عن تضاريس شبه جزيرة البلقان ، انظر :

Péchoux and Sivignon. *Les Balkans*, 11-24; Obolensky
Commonwealth. 19-29.

٢ - للمزيد عن المناخ والحياة النباتية فى أقاليم شمال غرب البلقان، انظر :

Milivoievic and Roglic, *Yugoslavia*, 512-27.

٣ -عن العناصر العرقية فى شمال البلقان منذ العصر القديم ، انظر :

Georgiev, *Balkan Peoples*, 285-97.

Browning, *Byzantium and Bulgaria*, 23 — ٤

Browning, *Byzantium and Bulgaria*, 23-24; — ٥

Georgev, *Balkan peoples*, 285-97.

٦ - للمزيد عن طريق بلغراد-القسطنطينية وأهميته فى العصور الوسطى، انظر :

Obolensky, *Commonwealth*, 35-38.

Obolensky. *Commonwelath*. 40. — ٧

Browning, *Byzantium and Bulgaria*, 24. — ٨

Jones, *LRE*, 1.35. — ٩

١٠ - عن معركة أدريّة التى وقعت يوم ٩ أغسطس سنة ٣٧٨م ، انظر :

Jones, LRE. 1, 153-54; Ostrogorsky, State, 52.

Browning, Byzantium and Bulgaria, 31-32; -١١

Obolensky, Commonwealth, 64-66, 82.

Browning, Byzantium and Bulgaria, 32. -١٢

Jnes LRE, 1 299. -١٣

١٤ - للمزيد عن الآثار وتقدمهم من آسيا الوسطى تجاه الغرب وقيامهم بتهديد جبهة الدانوب ، انظر :

Bury, Roman Empire, II, 314-16; Ostrogorsky, State, 81;

Howorth, The Avaras, 721-810.

١٥ - يلاحظ أن الآثار تحالفوا في البداية مع اللومبارديين ونجحوا معاً في القضاء على الجبيد ، وعندما ازداد خطر الآثار ، فضل اللومبارديون الهجرة الى شمال إيطاليا وتركوا الساحة للآثار ، انظر :

Jones, LRE, 1, 305; Obolensky, Commonwealth, 73.

١٦ - وصف المؤرخ السرياني المعاصر يوحنا الانسوسى عبور السلاف نهر الدانوب واجتياحهم أقاليم البلقان ابتداء من سنة ٥٨١م ، انظر :

John of Ephesus, 432-23; Obolensky, Commonwealth, 75-77;

Lemerle, Invasions, 281-95; Dvornik, Les Slaves, 4-10.

وانظر أيضا : وسام عبد العزيز فرج : " السلاف فى شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١-١٠١٨م) " ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان ٣٠/٣١ (١٩٨٣-١٩٨٤م) ، ١٤١ - ٢٠٢ .

١٧ يظهر اضطراب التسلسل التاريخى للأحداث بوضوح فى المصدر المعروف بمعجزات القديس ديمترى *Miracula Sancti Demetri* ، الذى يعد أهم مصدر لدينا عن استقرار السلاف فى أقاليم البلقان ، انظر:

Miracula Saneri Demetri, AASS, 104-97.

وانظر أيضاً : الطبعة الحديثة لهذا المصدر والدراسة التى قدمها الأستاذ لامرل :

Lemerle, *Anciens Recueils*, 2 vols.

Browning, *Byzantium and Bulgaria*, 36-37. - ١٨

Charanis, *Demography*, 455; Charanis, *Observations*, -١٩
15-16.

Browning, *Byzantium and Bulgaria*, 42-43. - ٢٠

وقارن أيضاً :

Charanis, *Ethnic Changes*, 23-44; Obolensky, *Commonwealh*
90-81; Georgiev, *Balkan Peoples*, 285-97; Angelov,
Entstehung, 69.

Obolensky, Commonwealth, 74,77; Browning, Byzantium - ٢١
and Bulgaria, 36, 43-44

وانظر أيضاً :

DAI, 1.30, 140-142; 11,113-114.

Angelov, Entstehung, 68-71' Toynbee, Constantine - ٢٢
619-20; Vasmer, Die Slaven, 150-59, 324; Lemerle,
Invasions 287-304.

٢٣ - عن حصار الآثار والسلاف والفرس لمدينة القسطنطينية سنة ٦٢٦ م ، انظر :

Barisic, Siège de Constantinople, 371-95; Obolensky,
Commonwealth, 77-78.

Toynbee, Constantine, 621; Browning, Bizantium and - ٢٤
Bulgaria, 44-45.

Nicephorus, 24; Theophanes 1, 357; Obolensky, - ٢٥
Commonwealth, 89-91; Browning, Byzantium and
Bulgaria, 45-47; Angelov, Entstehung, 77-82.

٢٦ - تناول الإمبراطور قسطنطين السابع في بعض فصول (٢٩-٣٦) مؤلفه عن الإدارة
الإمبراطورية ، الصرب والكروات والقبائل السلافية المستقرة في شمال غرب
البلقان. وتعد المعلومات التي أوردها على جانب كبير من الأهمية ، أنظر :

DAI, 1.29-36, 122-164.

انظر أيضاً الترجمة العربية لها في :

إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة الدكتور محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية
(بيروت ، ١٩٨٠) ، ١٠٥ - ١٣٦ .

انظر أيضاً تعليق المؤرخين الحديثين على تلك المعلومات في :

DAI, ll. 93-142.

٢٧ - انظر مختلف آراء المؤرخين الحديثين حول أصل الصرب والكروات في:

DAI, ll. 115, 116-17, 119-32.

انظر أيضاً :

Grégoire, *Origine*, 88-118; Dvornik, *Eastern Europe*, 270-71.

DAI, 1.31, 1.48-49; Tonybee, *Constantine*, 624; Obolensky - ٢٨
Commonwealth, 85-86; Brozning, *Byzantium and*
Bulgaria 44.

DAI, 1.32, 152-53, 160; Toynbee, *Constantine*, 624-25; - ٢٩
obolensky, *Commonwealth*, 86; Browning, *Byzantium and*
Bulgaria, 44.

Browning, *Byzantium and Bulgaria*, 45.

-٣٠-

Halphen, Charlemagne, 81-87

- ٣١

Obolensky, Commonwealth, 136

- ٣٢

Dvornik, Eastern Europe, 268-305; Grégoire, Origine, - ٣٣
88-118; Hauptmann, Rapports, 166, n.2.

Btowing, Byzantium and Bulgaria, 53; Angelov, - ٣٤
Formation, 54,55,58; Angelov, Entstehung, 77-88.

٣٥ - يذكر الأستاذ أبلنسكى أن العناصر السلافية استقرت فى مستوطنات متفرقة حول
واديان الأنهار ثم انتسبت الى تلك الأنهار . وعلى هذا فإن التيموخيين Timochane
هم السلاف المستقرين حول نهر تيموك Timok ، والمورافيين Moravane هم
العناصر السلافية التى استقرت حول نهر مورافا Morava (فى بلاد الصرب) ،
انظر :

Obolensky, Commonwealth, 83

ويذكر الإمبراطور قسطنطين السابع أن كلمة الزاكلومى Zachlumi تعنى فى اللغة
السلافية ما وراء الجبل ، أى أن هذه القبيلة السلافية استقرت خلف جبل فى جنوب
البوسنة ، ولكن العناصر التى استقرت حول نهر نرتفا Neretva انتسبت إليه ،
وعرفت أيضاً باسم النارتتاني Narentani على حد قول الأستاذ/ أبلنسكى ،
انظر :

DAI, 1.33, 161- 62; II, 137,

٣٦ - للمزيد عن معاهدة آخن سنة ٨١٢م ، ونشاط البعثات التبشيرية اللاتينية فى كرواتيا، انظر :

Vlasto, Christendom. 189-94.

Theoph. Cont. 291-92; Obolensky Commonwealth, 134. - ٣٧
36; Dujcev, Serbes, 53-60.

٣٨ - تعد الهرطقة البوجوميلية من أقوى الحركات الدينية المعارضة للكنيسة فى البلقان . ظهرت هذه الهرطقة فى بلغاريا فى الربع الثانى من القرن العاشر فى عهد القيصر بطرس (٩٢٧-٩٦٩م) ، ثم انتشرت بعد ذلك فى بعض أقاليم الدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى . كما امتدت الحركة بعد ذلك إلى بلاد الصرب والبوسنة ابتداءً من القرن الثانى عشر . وتتميز الحركة البوجوميلية ببعدها الاجتماعى إذ انتشرت بين طبقات المعدمين من الفلاحين الذين أرهقتهم حروب سيميون البلغارى (٤٩٣-٩٢٧م) والخرائب الباهظة التى فرضها عليهم كبار ملاك الأرض وكبار رجال الكنيسة . فلخذت الحركة شكل الرفض للنظام القائم بمؤسساته الدينية والدنيوية . ويؤمن البوجوميل بالثنائية ، أو بوجود عنصرين : عنصر الخير وعنصر الشر . فعالم السماء والروح من خلق عنصر الخير ، أما عالم الدنيا والجسد فمن خلق الشر (الشیطان) . للمزيد عن البوجوميلية فى شبه جزيرة البلقان ، انظر :

Angelov, Bogomil Movement, 39-55;

Obolensky, Bogomils, 109-73.

Raymond of Aguilers, 235-38

- ٣٩

وأنظر أيضاً الترجمة العربية :

ريموند أجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمة الدكتور حسين محمد عطية ،

دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية ١٩٩٠م) ، ٥٩ - ٦٠ .

Odo of Deuil , 30 , 32, 40.

- ٤٠

Expeditione Friderici, 27-71

- ٤١

Cinnamus, 93.

- ٤٢

William of Tyre, XX. 4, 946-47.

- ٤٣

DAI, 1.29, 123; Toynbee, Constantine, 269.

- ٤٤

٤٥ - للمزيد عن هذا الموضوع ، انظر :

DAI, 1.29, 127-29; Eickhoff, Seekrieg, 215-16.

Ostrogorsky, State, 312; Obolensky, Commonwealth, 287. - ٤٦

Obolensky, Commonwealth, 287.

- ٤٧

Sisic, Kroaten, 284-315; Obolensky, Commonwealth, 287; - ٤٨

Ostrogrosky, State, 346.

Sisic, Kroaten, 181-83; DAI, 11, 99.

- ٤٩

Jirecek, Serben, 1, 199 - 240;

- ٥٠

Ostrogorsky, State, 267, 325, 359;

Obolensky, Commonwealth, 155, 287-900

٥١- قامت المجر بضم كرواتيا سنة ١١٠٢ م ، واستطاعت مد سيادتها على البوسنة فى

القرن الثالث عشر الميلادى . فمئذ سنة ١٢٠٣م وضع ملك البونة بان كولين Ban

Kulin نواته تحت حماية المجر ،انظر :

Ostrogorsky, State, 366, 410;

Obolensky, Commonwealth, 287.

Corovic, Hist. Bosne, 276-98.

- ٥٢

ويغطى هذا الكتاب تاريخ البوسنة فى العصور الوسطى حتى سنة ١٤٨٢ م . وانظر
ايضاً:

Ostrogorsky, State, 545, 46.

Djurdjev, Bosna, Col. 1261.

- ٥٣

Jirecek, Serben, 1, 215 - 38 ;

- ٥٤

Obolensky, Commonwealth, 288-89;

Ostrogorsky, state, 364, 359.

Jirecek, Serben, 1,260 - 74;

- ٥٥

Ostrogorsky, State, 388, 398 - 99, 407 - 8;

Obolensky, Commonwealth, 289 - 90.

Jirecek, Serben, 1, 296-300;

- ٥٦

Ostrogorsky, State, 431; Obolensky, Commonwealth, 291, 312-15.

وأنظر أيضاً :

Laurent, La Serbie, 109-30.

٥٧ - للمزيد عن دولة الصرب الكبرى في عهد القيصر شتفان نوشان وعلاقتها بالدولة البيزنطية ، أنظر :

Obolensky, Commonwealth, 329-32; Ostrogorsky, State, 505-6, 523-34; Ostrogorsky, Relations, 1-15.

٥٨ - وعن نمو النظام الإقطاعي في دولة الصرب ، أنظر :

Ostrogorsky, Féodalité, 187-97;

Obolensky, Commonwealth, 328.

٥٩ - عن انتشار البوجوميلية في البوسنة ، أنظر :

Angelow, Bogomil Movement, 41-42;

Runciman, Medieval Manichee, 101 - 102, 115.

- | | |
|---------------------------|---|
| AASS | Scta Sanctorum, Antwerp 1643 ff. |
| Angelob, Bogomil Movement | D. Angelov, The Bogomil Movement (Sofia, 1978). |
| Angelov, Entstehung | D. Angelov, Die Entstehung des Bulgarischen Volkes (Berlin, 1980) |
| Angelov, Formation | D. Angelov, " formation and development of the bulgarian Nationality (Ninth to Twelfth Century), BHR, 1 (1973) 49-64. |
| B | Byzantion, Bruxelles (Paris),1924 ff. |
| Barisic Siége | f. Barisic, "Le siège de Constantinople par les Avars et les Slaves en 626", B, 24 (1954), 371-95 |

- | | |
|-----------------------|--|
| BHR | Bulgarian Historical Review |
| browning, | R. Browning, Byzantium and Bulgaria |
| Byzantium | Acomparative Study Across the |
| and Bulgaria | Early Medieval Frontier (London, 1975). |
| BS | Balkan |
| Bury, Roman | J.B. Bury, History of the later Roman |
| Empire | Empire from the Death of Theodosius I to the Death of Justinian (New York, 1958), 2 vols. |
| Charanis, | P. Charanis, "Observations on the De- |
| Demography | mography of the Byzantine Empire" |
| | Proceedings of the XIII International |
| | Congress of Byzantine Studies (Ox- |
| | ford, 1966), 445-63. |
| Charanis, | P. Charanis " Ethnic Changes in the |
| Ethnic Changes | Byzantine Empire in the seventh Centu- |
| | ry", DOP , 13 (1959), 23-44. |

- Charanis, Observations** P. Charanis "Observations on the History of Greece During the Early Middle Ages". *Bs*, 11/1 (1970), 1-34
- Cinnamus** Ioannes Cinnamus, *Epitome*, ed. A. Meineke (CSHB, Bonn 1836).
- Corovic, Hist. Bosne** B. Corovic, *Historija Bosne* (Belgrade 1940)
- CSHB** *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae* (Bonn 1828-1897).
- DAI** Constantine Porphyrogenitus *De Administrando Imperio*, Vol. I: Greek Text, ed. G. Moravcsik. Eng. trans by R. Jenkins (Budapest, 1949); Vol. II : Commentary , ed. R. Jenkins and others (London, 1962).
- Djurdjev Bosna** B. Djurdjev, Art. "bosna (bosnia and Herzegovina) *El*, Cols. 1261-75
- DOP** *Dumbarton Oaks Papers* (Cambridge, Mass) Washington 1941 ff.

- Dujcev I. Dujcev, "Une ambassade byzantine auprès des serbes au IXe siècle ", ZRSAN, 7 (1961), 53 - 60.
- Serbes
- Dvornik F. Dvornik *The Making of Central and Eastern Europe* (London, 1949) (Polish Research Centre)
- Eastern Europe
- EI Encyclopaedia of Islam
- Eickhoff, E. Eickhoff, *Seekrien und seepolitik Zwischen Islam and Adendland Das Mittelmeer unter byzantinischer and arabischer Hegmonie (650-1040)* (Berlin 1966de Gruyter) .
- Seekrieg
- Expeditione Anonymus (Ansbert) *Historia de Expeditione Friderici Imperatoris*; MCH, SRG: NSV (Berlin, 1928), 1-115.
- Friderici
- Georgiev, v. Georgiev, *The Genesis of the Balkan Peoples* SEER, 44(1965-66), 285-97.
- Balkan
- Peoples H. Grégoire, *L'origine et le nom des*

- Origine** Croates et des serbes, B, 17 (1944-45), 88-118.
- Halphen, Charlemagne** L. Halphen, **Charlemagne et l'Empire Carolingien** (Paris, 1949)
- Hauptmann, Rapports** L. Hauptmann, **Les Rapports des Byzantins avec les Slaves et les Avars Pendant la seconde moitié du VIe siècle** B, 4 (1929). 137-70 .
- Howorth the Avars** H. Howorth, **The Avars**, JRAS, 21 (1889), 721-810.
- Jirecek, Serben** K. Jirecek, **Ceschichte der serben** (Gotha, 1911, 1918), 2 vols
- John of Ephesus** **The Third part of the Ecclesiastical History of John Bishop of Ephesus**. ed. and tr. R. Payne Smith (Oxford. 1960).
- Jones, LRE** A.H.M Jones **The later Roman Empire 284-602. A Social, Economic and Administrative survey** (Oxford, 1973).2 vols.

- JRAS** Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain London 1833 ff.
- LAURENT, La Serbie** V. Laurent. "La Serbie entre Byzance et la Hongrie á la veille de la quatrième Croisade", *RHSE*, 18 (1941), 109-30.
- Lemerle, Anciens Recueils** P.Lemerle, *Les plus anciens recueils des miracles de saint Démétrius et la pénétration des Slaves dans Les Balkans* (Paris, 1979. 198) 2 vols.
- Lemerle, Invasions** P. Lemerle, "Invasions et Migrations dans Les Balkans Depuis la fin de L'époque romaine Jusqu'au VIIIe siècle", *RH* 211 (1954), 265-308.
- MGJ,SRG:NS** Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Germanicarum : Nova series.
- Milivojevic and Roglic, yugoslavia** M. Milivojevic and J.Roglic, "Yugoslavia, in: *World Atlas*, vol. 1, 512-27.
- Miracula Sancti Dmetri, AASS** Miracula Sancti Demetri, in : *AASS Oct.* 8. Vol. IV, 104-197.

- | | |
|----------------------------|--|
| Nicephorus | Nicephori Archiepiscopi Constantinopolitani Opuscula Historica, ed C. De Boor (Leipzig, 1880). |
| Obolensky,
Bogomils | D.Obolensky, <i>The bogomils, a study in Balkan Neo-Manichaeism</i> (Cambridge, 1948). |
| Obolensky,
Commonwealth | D.Obolensky. <i>The Byzantine Commonwealth. Eastern Europe 500-1453 A.D.</i> , Cardinal ed. (London 1974). |
| Odo of Deuil | Odo of deuil, <i>De Profectione Ludovici VII in Orientem</i> , Ed v.G. Berry (New york, 1948) (Records of Civilization Sources and Studies). |
| Ostrogorsky
Féodalité | G.Ostrogorsky. <i>Pour L'histoire de la féodalité byzantine</i> (Brussels, 1954). |
| Ostrogorsky
Relations | Gostrogorsky, "Problèmes des relations Byzantion- Serbes au Xive siècle" <i>Proceedings of the XIII Inteerational Congress of byzantine Studies</i> (Oxford, 1966), -15. |

- Ostrogorsky State** G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine State* Eng. trans. by j.M. Hussey (Oxford. 1988).
- Péchoux and sivignon, Les Balkans** P.Y. Péchoux and sivignon, *Les Balkans* (Paris, 1971). (= *Magellan : la Géographie et ses problèmes XVI*).
- Raymond of Aguilers** Raymond of aguilers, *Historia francorum qui Ceperunt Iherusalem*; RHC, Occ. III (Paris 1866), 231-309.
- RH** *Revue Historiaue*, Paris, 1876 ff.
- RHC, Occ.** *Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux* (Paris, 1944 95), 5 vols.
- RHSE** *Revue Historique du Sud-Est Européen*, bucharest, 1924 ff.
- Runciman, Medieval Manichee** S.Runciman *the Medieval Manichee : A Study of the Christian Dualist Heresy* (Cambridge, 1947).

- | | |
|-------------------------|--|
| SEER | Slavonic and East European Review
London, 1922 ff. |
| Sisic, Kroaten | F. Sisic, Geschichte der Kroaten I
(Zagred, 1917). |
| Theophanes | Theophanis Chronographia. ed.
C. De Boor (Leipzig, 1883-85),2vols. |
| Theoph. Cont. | Theophanes Continuatus,
Ioannes Cameniata, Symeon Ma-
gister, Georgius Monachus Con-
tinuatus, ed. I.Bekker (CSHB.
Bonn 1838), 1-481. |
| Toynbee,
Constantine | A. Toynbee, Constantine Porphy-
rogenitus and his World (London,
1973): |
| Vasmer, Die
Slaven | M. vasmer, Die Slaven in Grie-
chenland (Berlin 1941. de Gruyter) |
| Vlasto,
Christendom | A. vlasto, The Entry of the Slavs
into Christendom. An Introduc-
tion to the Medieval History of
the Slavs (Cambridge, 1970). |

William of Tyre William of Tyre, *Historia Terum in Partibus Transmarinis Gestarum a tempore Successorum Mahumeth Usque ad Annum Domini MCL XXXIV*, RHC OCC.1 1,2 (Paris, 1844).

World Atlas Committee for the World Atlas of Agriculture (ed), *The World Atlas of Agriculture* (Novora, 1989-76), 5 vols.

ZRSAN Zbornik Radova srpske Akademije Nauka. vizantoloski Institut. belgrade 1952 ff.

فهرس الكتاب

صفحة	
٣	مقدمة
٩	١ - البيئة الجغرافية ,
١٧	٢ - العناصر السكانية ,
٢٩	٣ - العلاقات مع الدولة البيزنطية ,
٤١	٤ - الكروات والصرب والبوسنة ,
٥٧	الخاتمة ,
٦١	الحواشى ,
٧١	المصادر والمراجع والمختصرات ,

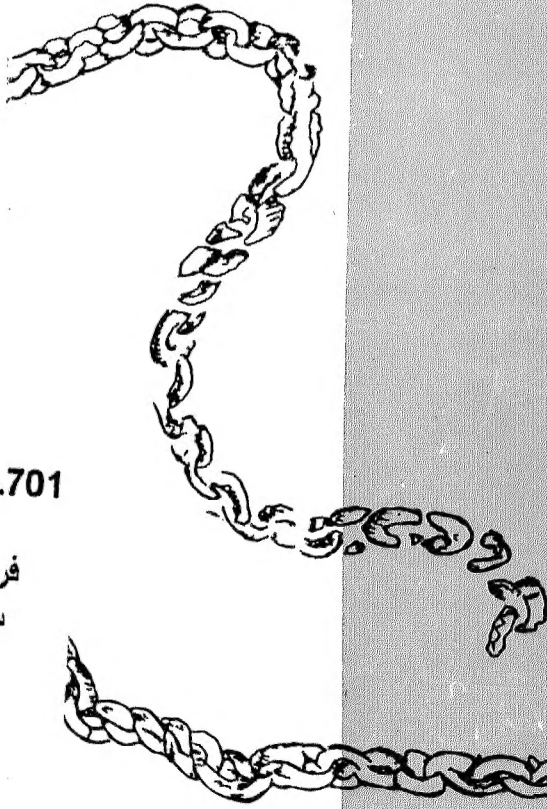
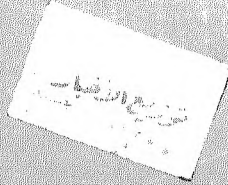
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

رقم الإيداع ٩٤/٤٣٣٥

الترقيم الدولي 0 - 11 - 5487 - 977 I.S.B.N

طبع بمطابع دار روتا برينت





.701

فر
ه



للمراسلات والبحوث الانسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES